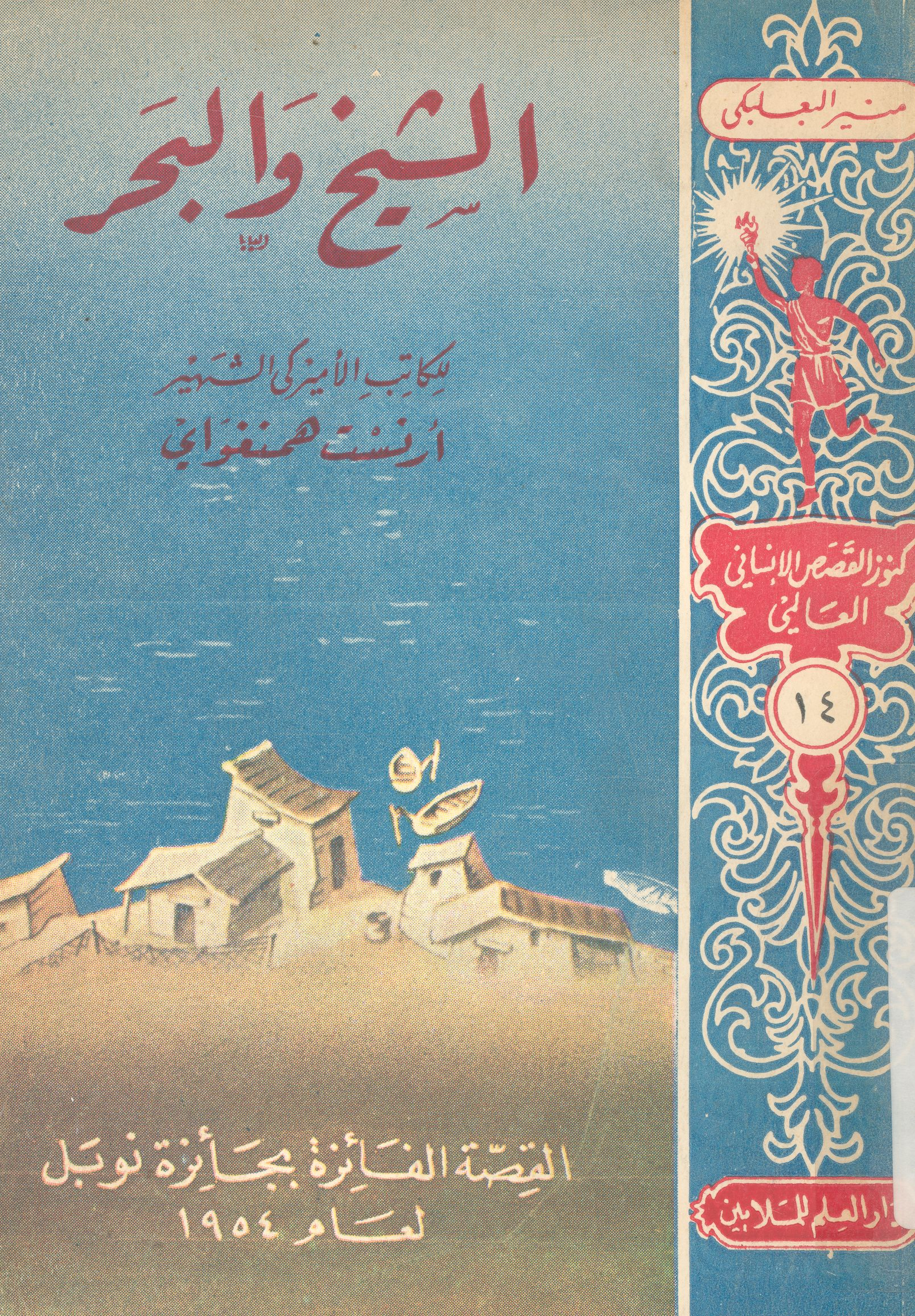


الشيخ والبحر
للكاتب الأميركي الشهير
أرنست همنغواي
القصة الفائزة بجائزة نوبل
لعام ١٩٥٤
منير البعلبكي
كنوز القصص الإنساني العالمي
١٤
دار العلم للملايين

كنوز القصص الإنساني العالمي

١٤

الشيخ والبحر

للكاتب الأميركي الشهير

أرنست همنغواي

الفائز بجائزة نوبل لعام ١٩٥٤

نقله إلى العربية

منير البعلبكي

دار العلم للملايين
بيروت

The Old Man and the Sea
by
Ernest Hemingway

طبعات هذا الكتاب في الاصل الانكليزي

الطبعة الاولى ، ايلول ١٩٥٢
الطبعة الثانية ، تشرين الاول ١٩٥٢
الطبعة الثالثة ، كانون الاول ١٩٥٢
الطبعة الرابعة ، كانون الثاني ١٩٥٣
الطبعة الخامسة ، نيسان ١٩٥٣
الطبعة السادسة ، آب ١٩٥٣
الطبعة السابعة ، ١٩٥٤

الطبعة الاولى
بيروت ، كانون الاول ١٩٥٤

كان رجلًا عجوزاً يصيد السمك وحده في قارب عريض القعر في « تيار الخليج » * ، وكان قد سلخ اربعة وثمانين يوماً من غير ان يفوز بسمكة واحـــدة . وفي الايام الاربعين الاولى كان يصحبه غلام صغير . حتى اذا قضى اربعين يوماً من غير ان يوفّق الى صيدٍ ما ، قال أبوا الغلام لابنهما ان الشيخ منحوس نحساً لا ريب فيه ولا برء منه ، وسألاه ان يعمل في قارب آخر ما لبث أن فاز بثلاث سمكات رائعات في الاسبوع الاول . ولقد أحزن الغلامَ ان يرى الشيخ يرجع كل يوم خاليَ القارب ، فكان ما يفتأ يمضي للقائه ويساعده في حمل صنـــانيره الملتفّة أو مِحْجنه وحربونه ** والشراع المطويّ حول السارية . وكان الشراع مرقعاً بأكياس دقيق عتيقة ، فهو يبدو وقد طُويَ على هذه الشاكلة اشبه ما يكون براية الهزيمة السرمدية .

* Gulf Stream وهو تيار اوقيانوسيّ دافيء ينبثق من خليج مكسيكو ، ويجري شمالاً في محاذاة الساحل الاميركي ومن ثم يتخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً نحو الجزر البريطانية . [المعرب]

** الحربون : رمح مريش لصيد الحيتان . [المعرب]

وكان الشيخ معروقاً شاحباً انتشرت في مؤخر عنقه تجاعيد عميقة . وعلَتْ خديه القروح السمراء الناشئة عن سرطان الجلد غير المؤذي الذي هو ثمرة انعكاس الشمس على صفحة المياه في المناطق الاستوائية . وكانت تلك القروح تغطي جانبي وجهه ، على حين كانت في يديه ندوب عميقة الغور خلّفتها الحبال التي علقت في أطرافها ضروبٌ من الاسماك الثقيلة . ولكن أيـاً من هذه الندوب لم يكن غضاً . كانت قديمة قِدَم التأكّل في صحراء خلوٍ من السمك .

كان كل شيء فيه عجوزاً خلا عينيه ، وكان لونهما مثل لون البحر . وكانتا مبتهجتين باسلتين .

وقال له الغلام فيما هما يصعدان الضفة بعد ان دفعا القارب الى اليابسة :

« سانتياغو ! في استطاعتي ان اذهب معك من جديد . لقد فزنا بشيء من المال . »

كان الشيخ قد علّم الصبي صيد السمك ، وكان الصبيّ يحبه .

وقال الشيخ :

« انت تعمل الآن على ظهر مركب محظوظ . إبقَ حيث انت . »

— « ولكن أذكرْ كيف سلخْتَ سبعة وثمانين يوماً من غير ان توفق الى سمكة واحدة ثم تدفقت علينا

الاسماك الكبيرة فكنا نصطاد منها كلّ يوم عـــدداً غير يسير ، طوال أسابيـع ثلاثة . »

فقال الشيـخ :

« أَذكر ذلك . أنا أدري جيـــداً ان فراقك لي لم يكن ناشئاً عن شكوكك . »

– « بابا هو الذي أكرهني على فراقك . أنا ما أزال غلاماً صغيراً ، ويتعين عليّ ان أطيعه . »

فقال الرجل العجوز :

« ادري . هذا شيء طبيعي جداً . »

– « ليس لديه ايمان . »

فقال الشيخ :

« لا . أما نحن فايماننا قوي . أليس كذلك ؟ »

فقال الغلام :

« نعم . هل استطيع ان اقدّم اليك شيئاً من الجعة في « السَّطِيحة » ، ثم نحمل هذه الادوات كلهـــا الى البيت ؟ »

فأجابه الشيخ :

« ولم لا ؟ سوف أشربها بين الصيادين . »

وجلسا على « السَّطِيحة » ، وانشأ عدد من الصيادين يسخر من الرجل العجوز ، ولكن ذلك لم يستثر غضبـه قط . اما الصيادون الشيوخ فنظروا اليه وقد عصر الحزن قلوبهم . ولكنهم لم يُظهروا ذلك ، وراحوا يتحدثون

في كياسة عن التيار ، والاعماق التي قذفوا بخيوطهم اليها ، والجوّ الجميل المتواصل ، وعما شاهدوه . وكان الصيادون الذين فازوا برزقهم ذلك النهار قد دخلوا ، وشقوا بطون اسماكهم وحملوها — ممدّدةً على لوحين خشبيين كان رجلان يترنحان عند طرف كل منهما — الى المسمكة حيث انتظرت سيارة الثلج الكبيرة لتقلّها الى السوق في هافانا . وكان الذين اصطادوا أقراشاً * قد حملوها الى مصنع الاقراش في الضفة الاخرى من الخليج ، حيث توضع على الآلات الرافعة ، وتُزال اكبادها ، وتُقطع زعانفها ، وتُنزع جلودها ، ويقطّع لحمها قِدداً يُصار بعدُ الى تمليحها .

وحين تهبّ الريح من ناحية المشرق كانت روائح مصنع الأقراش تملأ جنبات المرفأ . أما اليوم فلم تبلغ المرفأ غير رائحة واهنة لان الريح انقلبت الى الشمال ثم همدت فجأة . وكان الجو جميلاً مشمساً على « السطيحة » .

وقال الغلام :

« سانتياغو ! »

فاجابه الشيخ :

« نعم . » كان حاملاً كأسه يفكر في الايام الخالية .

— « هل تريد أن أذهب وآتيك بشيء من السردين تستعين به على الصيد غداً ؟ »

— « لا . إذهبْ والعب البيسبول . انا لا ازال قادراً

* جمع قرش ، وهو سمك ضخم شبيه بكلب البحر . [المعرب]

على التجذيف . ولسوف يلقي روجيليو الشبكة . »

— « كم احبّ ان أذهب . واذا كنت لا أستطيع ان اصطاد معك فليس يمنعني ذلك من ان أخدمك بطريقة ما . »

فقال الشيخ :

« لقد قدمتَ اليّ كأساً من الجعة . ويبدو لي انك صرتَ رجلاً قبل الاوان . »

— « كم كان عمري عندما اصطحبتني ، اول مرة ، في قارب ؟ »

— « خمس سنوات . ولقد كدتَ تُقتل عندما حملتُ السمكــة ، وكانت ما تزال غضة العود ، فكادت تمزّق القارب إرباً إرباً . هل تذكر ؟ »

— « استطيع ان أذكر ذنبها يضرب ويخبط ، ومقعد التجذيف ينكسر ، والدويّ الذي أحدثه ذلك التضريب . أستطيع ان أذكر كيف قذفتْ بي الى مقدّم المركب حيث كانت الخيوط الندية الملتفة . لقد شعرتُ بالمركب كله يرتجف ، وسمعت صدى ضربك للسمكة الضخمة وكأنك تجتثّ بالفأس شجرة من الاشجار ، وشممت رائحة الدم العذبة تفوح من حولك . »

— « هل تذكر ذلك حقــاً أم اني أنا الذي حدثتك به ؟ »

— « انا اذكر كل ما وقع لنا منذ اول يوم انطلقنا فيه معاً . »

ونظر الشيخ العجوز اليه بعينين ناضحتين بالحب والثقة ، عينين لوّحتها اشعة الشمس ، وقال :

« لو كنتَ ولدي لانطلقتُ بك وغامرتُ ولكنك ابن ابيك وأمك ، وأنت تعمل على قارب محظوظ . »

— « هل آتيك بالسردين ؟ في استطاعتي أن أجيء باربعة أطعام * . أنا اعرف من أين . »

— « لا تزال أطعام اليوم عندي . لقد وضعتها في الصندوق وغمرتها بالملح . »

— « دعني اذهب وآتيك بأربعة جديدة . »

فقال الشيخ :

« جيء بواحد فقط . »

إن أمله وثقته لم يعترهما الوهن قط . ولكن الانتعاش دبّ فيهما الآن كما ينتعشان حين يهب النسيم العليل .

فأصر الصبيّ :

« بل باثنين . »

فما كان من الشيخ الا ان أقرّه قائلًا :

« لا بأس ، إيتني باثنين . أنت لم تسرقهما ؟ »

— « أنا لا أعفّ عن ذلك . اما هذه الاطعام فقد اشتريتها . »

فقال الشيخ :

« شكراً . »

---

* جمع طعم (بضم الطاء) وهو ما يلقى الى السمك ليصطاد .

كان أبسط من ان يتساءل متى تعوّد الاذعان . ولكنه عرف أنه تعوّده ، وعرف انه غير معيب ، وليس يضير الكبرياء الحقيقية على الاطلاق .

وقال :

« سوف يكون الجوّ رائقاً ، غداً ، بعد هذا التيار . »

وسأله الغلام :

« الى اين تريد ان تذهب ؟ »

— « الى ابعد ما أستطيع ، لكي أعود حين تتحول الريح . يجب أن أنطلق قبل أن يبزغ الفجر . »

فقال الغلام :

« سوف أحاول أن أحمل معلمّي على الانطلاق الى عرض البحر . وهكذا يكون في استطاعتي ان اسارع لمساعدتك اذا اصطدتَ شيئاً كبيراً حقاً . »

— « إنه لا يحب الانطلاق الى مدى بعيد . »

فقال الغلام :

« هذا صحيح . ولكني احاول ان ارى شيئاً لا يستطيع هو ان يراه : ولنقلْ انه طائر يختلس شيئاً ، وعندئذ أغريه بالجري وراء الدلفين . »

— « هل يشكو ضعفاً في البصر ؟ »

— « إنه اعمى تقريباً . »

فقال الشيخ :

« هذا شيء غريب . ذلك لأنه لم يصطد السلاحف

البحرية في يوم من الايام . وهذا هو الذي يقتل العينين . »

— « ولكنك سلخت عدة سنوات تصطاد السلاحف في « ساحل البعوض » ، ومع ذلك فعيناك جيدتان . »

« أنا عجوز غريب . »

— « ولكن هل تظن انك لا تزال من القوة بحيث تستطيع أن تصطاد سمكة كبيرة ، كبيرة حقاً ؟ »

— « اظن ذلك . والى هذا فهناك حيلٌ كثيرة . »

فقال الغلام :

« فلنحمل هذه الادوات كلها الى المنزل . وهكذا أستطيع ان آخذ الشبكة الخاصة بصيد السردين واصطاد منه شيئاً كثيراً . »

وجمعا العُدّة من القارب . وحمل الشيخ الساريةَ على كتفه ، وحمل الغلام الصندوق الخشبي المنطوي على الخيوط السمراء الملتفة المضفورة ضفراً محكماً ، والمحجن ، والحربون . وكان صندوق الأطعام في مؤخر القارب الى جانب الهراوة التي تُصطنع لاخضاع السمكات الضخام بعد اصطيادها وجذبها . إن أحداً لن يسلب الشيخ عُدّته ، ومع ذلك فمن الخير ان يُحمل الشراع والخيوط الثقيلة الى البيت ما دام الندى يؤذيها . وعلى الرغم من ان الشيخ كان على مثل اليقين من أن احداً من أهل البلد لن يسرقه ، فقد قال في ذات نفسه إن في ترك مِحْجن وحربون في قعر قارب ما إغراء بالسرقة لا داعي له .

وتقدما معاً نحو كوخ الشيخ ، وولجا بابه المُشْرع . واسند الرجل العجوز الساريةَ وشراعها المطويّ الى الجدار ، ووضع الغلام الصندوق وسائر الادوات الى جانبها . وكان طول السارية يكاد يبلغ طول الغرفة الوحيدة التي يتألف منها الكوخ . وكان الكوخ مبنياً بتلك المادة الصلبة التي يدعونها « غوانو » *Guano* والتي لا تعدو ان تكون سعف النخلة الملكية المتراكم . وكان فيه سرير ، وطاولة ، وكرسي . وكان الطبخ يجري على الفحم في جانب من ارضه القذرة . وعلى الجدران السمراء ، حيث برزت هنا وهناك اوراق الـ « غوانو » المذللة المتراكبة ذات النسيج الصلب ، كانت صورتان ملوّنتان : إحداهما تمثل قلب يسوع الاقدس والأخرى تمثل عذراء كوبر ، وكانت هاتان الصورتان من آثار زوجته . وذات يوم كان الجدار مزداناً بصورة ملونة لزوجته نفسها ، ولكن شعور الشيخ بالوحدة كان يتعاظم كلما نظر اليها . وهكذا نزعها عن الجدار ووضعها على الرفّ الذي في وسط الغرفة تحت قميصه النظيف .

وسأله الغلام :

« ما عندك من الطعام ؟ »

— « قدر من الأرز المُزَعْفَر * مع السمك . أتحب ان تأكل شيئاً من ذلك ؟ »

— « لا . سوف آكل في البيت . هل أضرم

* زعفر الطعام : وضع فيه الزعفران .

لك النار ؟ »

– « لا . سأضرمها في ما بعد . وقد آكل الارزّ بارداً . »

– « هل استطيع ان آخذ شبكة صيد السردين ؟ »

– « طبعاً . »

ولم تكن عند الشيخ شبكة خاصة بصيد السردين ، وكان الغلام يذكر أنه قد باعها . ولكنهما كانا يمثّلان هذه الكوميديا الصغيرة كل يوم . ولم تكن ثمة قدر من الارز المزعفر مع السمك . وكان الغلام يعرف ذلك ايضاً .

وقال الشيخ :

« ان الخمسة والثمانين رقم سعيد . فماذا تقول لو رأيتني راجعاً بسمكة تزن اكثر من ألف رطل ، في قاربي ذاك ؟ »

– « سوف آخذ الشبكة وامضي لصيد السردين . هل لك ان تقعد عند المدخل تحت اشعة الشمس ؟ »

– « أجل . عندي جريدة البارحة ، وأحب ان أطالع الصفحة الخاصة بالبيسبول . »

ولم يدرِ الغلام ما اذا كانت جريدة البارحة جزءاً من الكوميديا ايضاً . ولكن الرجل العجوز سحبها من تحت السرير .

ثم أوضح :

« لقد اعطاني بيريغو اياها في الـ « بوديغا » .

— « سوف أعود حين أحصل على السردينات .
ولسوف أبقي حصتك وحصتي في الثلج ، وغداً صباحاً نقتسمها . وعندما أرجع تحدثني حديث البيسبول . »

— « اليانكيّون * لا يمكن ان ينهزموا . »

— « ولكني أخشى هنود كليفلند . »

— « ليكن إيمانك باليانكيين قوياً ، يا بُنيّ . فكّر في دي ماغيو العظيم . »

— « أنا أخشى أنمار ديترويت وهنود كليفلند في وقت واحد . »

— « كن حذراً ، وإلاّ خشيت حمر سينسيناتي ، وجوارب شيكاغو البيضاء . »

— « أدرُسْها ، وخبّرني عندما أعود . »

— « ألا ترى ان علينا ان نشتري ورقة يانصيب منتهية بخمسة وثمانين ؟ غداً هو اليوم الخامس والثمانون . »

فأجابه الصبيّ :

« هذه فكرة . ولكن ما قولك بالسبعة والثمانين التي بلغها رقمك القياسي الكبير ؟ »

— « لن يقع ذلك مرتين . هل تظنّ أن في استطاعتنا ان نجد ورقة تنتهي بخمسة وثمانين ؟ »

— « في إمكاني ان أطلب واحدة . »

* Yankees لفظ يطلق على سكان الولايات الاميركية الشمالية على وجه الخصوص . [المعرب]

— « عُشْر ورقة فقط . وهـذا يساوي دولارين ونصف . ممّن نستطيع أن نقترض هذا المبلغ ؟ »
— « هذا شيء سهل . في ميسوري دائماً ان أجد من يقرضني دولارين ونصف . »
— « وأحسب أني أنا أيضاً قادر على ذلك . ولكني لا أحاول أن أستدين . ان المرء يستدين اولاً ، ثم يستعطي . »

فقال الصبيّ :

« إلتحِفْ جيداً ، ايها الشيخ . تذكّرْ أننا في أيلول . »

فقال الشيخ :

« شهر السمكات الكبار . إن أيما إنسان يستطيع أن يعمل صياداً في نوار . »

فقال الصبيّ :

« سوف أمضي التماساً للسردين . »

وحين رجع الفتى كان الشيخ نائماً في الكرسي ، وكانت الشمس قد غربت . ورفع الفتى البطانية العسكرية العتيقة عن السرير ونشرها على ظهر الكرسي وفوق كتفي الرجل العجوز . كانتا كتفين غريبتين ، فهما ما تزالان قويتين برغم ان صاحبهما طاعن في السنّ . وكانت العنق لا تزال قوية ايضاً . وما كانت التجاعيد لتظهر كثيراً في هـذا الوضع الذي انحنى فيه رأس الشيخ الى أمام . وكان

قميصه قد رُقّع مرّاتٍ عديدة حتى لأصبح أشبه ما يكون بالشراع ، وكانت الرقع قد اتخذت بعد ان أنصلتها الشمس الف لون ولون . ومع ذلك فقد كان رأس الشيخ هرماً جداً ، ولم تكن على وجهه ، وقد اغمض عينيه ، أثارة من حياة . وكانت الصحيفة ملقاة على ركبتيه ، وكان ثِقل ذراعه يحبسها هناك برغم نسيم المساء . أما قدماه فكانتا حافيتين .

وتركه الغلام مسترسلًا في رقاده ، وغاب عنه من جديد . حتى اذا عاد ألفاه نائماً ما يزال .

— « إنهض ايها الشيخ ! » قال الغلام ذلك ووضع يده على احدى ركبتي الرجل العجوز .

وفتح الشيخ عينيه . وبدا لحظة وكأنه يحاول أن ينتزع نفسه من أعماق حلمه . ثم افترّت شفتاه عن ابتسامة .. وسأله :

« ما هذا الذي معك ؟ »

فأجابه الغلام :

« طعام العشاء . سوف نتناول طعام العشاء . »

— « أنا لست جائعاً جداً . »

— « هيا ، تناولْ طعامك . انت لا تستطيع ان تصطاد السمك اذا لم تأكل . »

— « لقد وقع لي هذا من قبل . » قال الشيخ ذلك ونهض فتناول الصحيفة وطواها . ثم إنه شرع يطوي

البطـــانية .

فقال الصبيّ :

« أبقِ البطانية عليك . انت لن تنطلق للصيد من غير أكلٍ ما دُمتُ انا حياً . »

فقال الشيخ :

« إذن فعِش دهراً طويلًا واعتنِ بنفسك . ما الذي سوف تأكله ؟ »

— « لوبياء سوداء ، وارزّ ، وموز مقـليّ ، وشيء من اللحم المطبوخ . »

كان الغلام قد أتى بذلك كله من « السطيحـة » في سُطيلة ذات طبقتين . وكان قد وضع السكينتـــين والشوكتين والملعقتين في جيوبه ، وجعلها مجموعتين مستقلتين ولفّ كلاً منها بمنديل من ورق .

— « من اعطاك هذا ؟ »

— « مارتن . صاحب السطيحة . »

— « يجب ان أشكره . »

— « لا داعي الى ذلك . فقد شكرتُه أنا . »

فقال الشيخ :

« سوف أعطيه لحم البطن من احدى السمكات الكبار . هل قدّم الينا ذلك اكثر من مرة ؟ »

— « أحسب ذلك . »

— « إذن يجب ان اعطيه شيئاً اكثر من لحم البطن

إنه كريم حقاً . »

— « لقد أرسل الينا زجاجتي بيرة أيضاً . »

— « انا أحبّ البيرة في عُلب الصفيح اكثر . »

— « أدري . ولكن هذه معبأة في زجاجات . إنها بيرة هاتوي . ولسوف أعيد الزجاجتين . »

فقال الشيخ :

« هذا لطف منك كثير . هل ينبغي أن نأكل ؟ »

فأجابه الفتى في رقة :

« كنتُ اسألك ان تفعل . انا لم أشأ ان أفتح السطيلة إلا بعد ان تبدي استعدادك لذلك . »

فقال الشيخ :

« أنا مستعد الآن . كل ما في الأمر اني كنت اريد ان أغسل وجهي ويديّ . »

أين يغتسل ؟ كذلك فكّر الغلام . لقد كان ماء القرية العامّ على بُعد شارعين من كوخه . وكان ينبغي ان أحمل له الماء الى هنا — كذلك فكّر الغلام — وأحمل صابونةً ومنشفة جيدة ايضاً . أنا قليل الدراية حقاً . يجب ان آتيه بقميص آخر وسترة للشتاء . ليس هذا فحسب ، بل يجب أن آتيه أيضاً بحذاء من نوع ما ، وبطانيه أخرى . »

وقال الشيخ :

« ان لحمك المطبوخ هذا ممتاز . »

فسأله الغلام :

« حدثني عن مباريات البيسبول . »

فقال الشيخ مبتهجاً : « في المباراة الاميركية فاز اليانكيون كما قلت . »

فأخبره الغلام :

« لقد انهزموا اليوم . »

— « هذا لا يُفيد شيئاً . لقد عاد دي ماغيو العظيم سيرته الاولى . »

— « إن في الفريق لاعبين آخرين . »

— « طبعاً ، ولكنه هو الذي يرجح الكفة . ففي المباراة الاخرى بين بروكلين وفيلاديلفيا ، يجب ان أقف في جانب بروكلين . ولكني اعود فأفكر في « دك سيسلر » وتلك الضربات العظيمة في الملعب القديم . »

— « انا لم أرَ في حياتي لاعباً يقذف الكرة الى أبعد مما يقذفها هو . »

— « هل تذكر تلك الايام التي كان يفدُ فيها على « السطيحة » ؟ لقد رغبتُ في ان أصطحبه الى الصيد ، ولكن الحياء حال بيني وبين دعوته الى ذلك . ثم سألتك ان تدعوه فغلب عليك الحياء أيضاً . »

— « ادري . كانت غلطة كبيرة . فقد كان من الجائز ان يمضي معنا . ولو فعل ، إذن لفزنا بذكرى لن ننساها طول حياتنا . »

فقال الشيخ :

« لشدّ ما أحب ان أصطحب دي ماغيو العظيم الى الصيد . يقولون ان اباه كان صياداً . ولعله كان فقيراً مثلنا ، فهو يستطيع ان يفهمنا . »

— « ان والد سيسلر العظيم لم يكن فقيراً قط . وكان ابوه هذا يشترك في المباريات الكبرى وهو في مثل سني . »

— « حين كنت في مثل سنك كنتُ واقفاً أمام السارية في مركب شراعي يطوف سواحل إفريقية ، وكنتُ قد رأيت الأسُود على الشطآن ، بعد ان هبط الليل . »

— « أدري . لقد حدثتني عن ذلك . »

— « عمّ ينبغي أن نتحدث : عن إفريقية أم عن البيسبول ؟ »

فقال الفتى :

« عن البيسبول في ما أظن . حدّثني عن جون ج ماك غراو العظيم . » (ولفظ الفتى « جوتا » بدلاً من « ج » .)

—« كان من عادته ان يَفِدَ على « السطيحة » بعض الاحيان ايضاً ، في الايام الخالية . ولكنه كان جافياً فظّ الكلام يجتنب الناس معاشرته حين يكون سكران . ولقد كان ذهنه مشغولاً ابداً بسباقات الخيل انشغاله بمباريات

البيسبول . وعلى اية حال فقد كانت جيوبه ملأى ، دائماً ، بلوائح الخيل . وكثيراً ما كان يذكر أسماء الأفراس في احاديثه التلفونية . »

فقال الغلام :

« كان منظـّماً عظيماً . بل إن أبي يعتقد انه أعظم المنظـّمين على الاطلاق . »

فقال الشيخ :

« لأنه كان يجيء الى هنا كثيراً . ولو ان دوروتشر واصلَ المجيء الى هنا كل عام لعدّه أبوك أعظم المنظـّمين . »

— « من هــو المنظـّم الأعظم حقاً : لوك أم مايك غونزاليز ؟ »

— « أحسبُ انهما فرسا رهان . »

— « أما أحسن الصيادين فأنت من غير شك . »

— « لا . أنا اعرف آخرين هم افضل مني . »

فقال الغلام :

« هناك كثيرٌ مـن الصيادين البارعــين وقليلٌ من الصيادين العظام . ولكن ليس هناك واحد مثلك . »

— « شكراً . انت تُدخل السعادة على قلبي . ارجو ان لا تمرّ بنا سمكة هي من الضخامة بحيث تُثبت أننـا كنا مخطئـَيْن . »

— « ليس هناك مثل هذه السمكة اذا كنت لا تزال قوياً كما تقول . »

فقال الشيخ :

« قد لا اكون قوياً بقدر ما أظن . ولكني أعرف كثيراً من الحيل ، وإن عندي عزيمة صادقة . »

— « ينبغي ان تأوي الى السرير الآن لكي تنهض نشيطاً في الصباح . سوف أعيد هذه الاشياء كلها الى « السطيحة » .

— « طاب مساؤك اذن . سوف أوقظك في الصباح . »

فقال الغلام :

« انت ساعتي المنبهة . »

فقال الرجل العجوز :

« الشيخوخة هي ساعتي المنبهة . لماذا يستيقظ الشيوخ باكراً الى هذا الحد ؟ أيفعلون ذلك لكي يتمتعوا بنهار أطول ؟ »

فأجابه الصبيّ :

« لست ادري . كل ما ادريه ان الفتيان الصغار ينامون في ساعة متأخرة ويجدون صعوبة في أن يستيقظوا صباحاً . »

فقال الشيخ :

« استطيع ان اتذكر ذلك . سوف أوقظك في الوقت المناسب . »

— « انا لا أحب ان يوقظني هو . ان ذلك يُشعرني وكأنني دونه مقاماً . »

- « أدري . »
- « نم جيداً ، ايها الشيخ . »

وغادر الفتى المكان . كانا قد تناولا الطعام وليس على الطاولة مصباح . ولقد خلع الشيخ بنطلونه ومضى الى السرير تحت جنح الظلام . ولفّ بنطلونه ليتخذ منه وسادة واضعاً الجريدة في داخله . ولفّ نفسه في البطانية ، واستلقى على الصحف العتيقة الاخرى التي غطّت نوابض السرير .

وما هي إلا فترة قصيرة حتى استسلم للرقاد وحلم بأفريقية يوم كان صبياً وبالشطآن الذهبية الطويلة ، وبالشطآن الناصعة البياض الى حدٍ يؤذي العين ، وبالرؤوس العالية ، والجبال العظيمة السمراء . لقد انتهى الى ان يحيا ، الآن ، كل ليلة في ذلك الساحل الافريقي . وفي أحلامه سمع هدير الامواج ، ورأى قوارب الزنوج تنطلق من خلالها . وعطّرت رقاده ريا القطران وحبال القنب القديمة التي يستروحها المرء على متون المراكب . وعند الصباح ، كانت نسائم البرّ تحمل اليه رائحة افريقيا نفسها .

وكان من دأبه حين يتنشق نسائم البر أن ينهض من فراشه ويرتدي ملابسه ويمضي فيوقظ الغلام . ولكن عبير نسائم البر أقبل ، هذه الليلة في ساعة مبكرة جداً . « في ساعة مبكرة جداً » ، كذلك قال في غمرة حلمه . واسترسل في الرقاد لكي يرى قمم الجزائر البيضاء تنهض

من اعماق البحر . وبعـــد ذلك تبدّت له في الحلم موانيء « جزر الكاناري » ومراسيها المختلفة .

ولم يعد يرى في ما يراه النائم شيئاً من العواصف او النساء او الاحداث الكبيرة . بل لم يعد يرى لا السمكات الكبار ، ولا المشاحنات ، ولا مباريات القوى ، وحتى زوجتـــه نفسها . لقد أمسى الآن يحلم بالاماكن فقط وبالأسود السارحة على الشاطيء . لقـــد لعبتْ كالقطط الصغيرة في الغسق ، ولقـد أحبّها هو كما أحبّ الغلام . ولم يرَ الغلامَ في منامه قط .

ونهض الشيخ من فراشه ، ونظر الى القمر من خلال الباب المفتوح ، ونشر بنطلونه وارتداه . ثم انـــه بال خارج الكوخ ، واتخذ سبيله الصاعدة لكي يوقظ الغلام . كان يرتجف من برد الصباح ، ولكنه عرف ان هذه الارتجافة سوف تُدفئه ، فما هي غير برهة حتى ينكبّ على مجذافيه .

ولم يكن على باب البيت الذي يقطنه الغلام قفلٌ ما ، ففتحه الشيخ ، ودخل البيت بقدميه الحافيتـــين في تؤدة وسكينة . كان الغلام نائماً في سرير صغير قائم في الغرفـة الاولى ، وكان في ميسور الشيخ ان يتبيّنـــه في وضوح على ضوء القمر المحتَضَر . وفي رفق أمسك بـــأحدى القدمين الرخصتين ورفعها في الهواء ، حتى استفاق الغـلام واستدار ، ونظر اليه . وحنى الشيـخ رأسه ، فتنـاول الغلام بنطلونه عن الكرسي المجاور للسرير ، ثم استوى قاعداً في

الفراش وارتدى البنطلون .

وغادر الشيخ البيت ، ومضى الغلام في أثره . كان النعاس لا يزال في عينيه ، فوضع الشيخ ذراعه على كتفيه وقال :

« أنا آسف لايقاظي اياك . »

فقال الغلام :

« دع عنك ذلك . النهوض باكراً هو وحده اللائق بالرجال . »

وهبطا الطريق الى كوخ الشيخ . وعلى طول الطريق وتحت جنح الظلام ، كان رجال حفاة الاقدام يتحركون ، وقد حملوا سواري قواربهم على اكتافهم .

حتى اذا انتهيا الى الكوخ حمل الغلام الخيوط في السلة ، والحربونَ والمحجن . وحمل الشيخ سارية القارب والشراع الملتف حولها على كتفه .

وسأله الغلام :

« هل تريد قهوة ؟ »

— « من الافضل ان نضع العدّة في القارب ، ثم نحتسي شيئاً منها . »

وتناولا القهوة بعلبتي صفيح من علب الحليب المكثف ، في حانة تستقبل الصيادين في الصباح الباكر .

وسأله الغلام :

« هل نمت نوماً عميقاً ، أيها الجد ؟ » كان يتخذ

سبيله الى اليقظة ، الآن ، على الرغم مـــن انه كان من العسير عليه ان يذود النعاس عن جفنيه .

فأجابه الشيخ :

« اجل ، نمت نوماً عميقاً ، يا مانولين . أنا واثق من النجاح اليوم . »

فقال الغلام :

« وكذلـك أنا . والآن يجب ان آتي بنصيبك وبنصيبي من السردين ، وأن احمل اليك أطعامك الجديدة . إن معلمي هـــو الذي يحمل عدّتنا . وليس لأحد الحقّ في ان يمسّها على الاطلاق . »

فقال الشيخ :

« لكلّ طريقته . لقد أجزت لك ان تحمل اي شيء وانت بعدُ في الخامسة من العمر . »

فقال الفتى :

« اعرف ذلك . ولسوف أرجع على التوّ . خُـــذ مقداراً آخر من القهوة . إن لنا حساباً جارياً هنـا . »

وانطلق حافيَ القدمين ، فوق الصخور المرجانية ، الى مستودع الثلج العمومي الذي حُفظت فيه الأطعام .

واحتسى الشيخ قهوته في تؤدة . فقد كانت كل مـــا سيدخل جوفه طوال ذلك النهار ، وكان يعرف جيداً أنه في أمسّ الحاجة اليها . فمنذ عهد طويل وتناولُ الطعـام يزعجه ، فهو لا يصطحب أيمـا غداءٍ أبداً . كانت عنـده

زجاجة ماء في مقدّم القارب ، وكان ذلك كل ما يحتاج اليه طوال النهار .

ورجع الغلام حاملاً السردين والطُعمَيْن وقد لفّ هذين الاخيرين بأحدى الصحف العتيقة . وهبطا المجاز المؤدي الى القارب ، غارزَيْن اقدامهما في الرمل الحَصِب ، ورفعا القارب وقذفا به ، فانسابَ على وجه الماء .

— « أتمنى لك حظاً سعيداً ، ايها الجدّ . »

— « وانا أتمنى لك حظاً سعيداً . » كذلك اجابه الشيخ ، وشدّ أربطة المجذافين القنّبية الى الوتدَيْن ، وانحنى إلى أمام متكئاً على طرفي المجذافين المسطحين المندفعين في الماء ، وشقّ طريقه الى خارج المرفأ في غمرة من الظلام . وكانت قد انطلقت في عرض اليمّ قوارب أخرى مقبلة من السواحل المجاورة . ولقد سمع الشيخ اصوات مجاذيفها وهي تلطم المياه وتدفعها على الرغم من انه ما كان قادراً على ان يتبيّنها ببصره بعد أن غاب القمر وراء الروابي .

وكان بعضهم يتحدث ، احياناً ، في قارب ما . ولكن معظم القوارب كانت صامتة لا ينبثق منها غير اصوات المجاذيف . وتناثرت تلك القوارب بعد أن غدت بعيدة عن فم المرفأ ، واتجه كل منها الى جزء من المحيط كان يرجو ان يقع فيه على صيد سمين . وعرف الشيخ أنه قد اوغل كثيراً . لقد خلّف وراءه عبير الأرض ، وأنشأ يجذّف ويجذّف . وكانت كل ضربة مجذاف تقرّبه من ريّا المحيط

الصباحية الصافية . لقد رأى الى اعشاب الخليج تتوهج في الماء توهجاً فوسفورياً ، بينا كان يجذّف في ذلك الجزء من الاوقيانوس الذي دعاه الصيادون « البئر الكبيرة » بسببٍ من عمقه المفاجيء البالغ سبعمئة قامة * حيث تحتشد الاسماك على اختلاف ضروبها نتيجةً للدرادير ** التي يحدثها التيار حين يصطدم بجدران قاع المحيط الشديدة الانحدار . هنا كان يتمركز الروبيان والسردين ، بل وتنشأ في بعض الاحيان مستعمرات من السبيدج في أعمق الثقوب . وكانت هذه ترتفع الى قريب من السطح عند المساء فتغتذي بها جميع الاسماك التائهة .

وفي غمرة من الظلام كان في ميسور الشيخ أن يستشعر أن الصباح يُغذّ الخطى . وفيما هو يجذّف انتهت الى سمعه ذبذبات الاسماك الطائرة وهي تنبثق من الماء ، وصفير اجنحتها القاسية وهي تحلق في الظلام . وكان مولعاً جداً بالاسماك الطائرة لانها كانت صديقته الرئيسية في عرض الاوقيانوس . كانت العصافير تثير شفقته ، وبخاصة سنونو البحر الصغيرة المهزولة الداكنة التي ما تفتأ تطير وتبحث ولا تكاد تجد شيئاً على الاطلاق . وقال في ذات نفسه : الطيور تحيا حياةً أقسى من حياتنا نحن ، باستثناء الجوارح والطيور الشرّاق . لماذا جُعلت العصافير نحيلة رقيقة الحاشية

* القامة مقياس يساوي ستة اقدام او متراً و ٨٣ سنتم [المعرب]

** الدردور : موضع في البحر يجيش ماؤه فيخاف فيه الغرق .

مثل سنونو البحر هذه ، ما دام الاوقيانوس وحشياً الى هذا الحد ؟ إن الاوقيانوس لطيف وجميل جداً ، ولكن في استطاعته ان يصبح وحشياً ، وحشياً الى ابعد الحدود ، وفي مثل لمح البصر . ولا ريب في ان هذه العصافير الصغيرة التي تطير ، وتغوص ، وتقتنص — بأصواتها الهزيلة المحزونة — هي ارقّ من أن تحتمل حياة البحار .

وكان يدعو المحيط « البحرة » *La mar* وهو الاسم الذي يطلقه الناس باللغة الاسبانية على المحيط حين يتعشّقونه . وفي بعض الاحيان كان اولئك الذين يتعشقون المحيط يذمونه او يسبّونه ولكنهم كانوا يفعلون ذلك دائماً وكأنهم يتحدثون عن امرأة . وكان بعض الصيادين الأحدث سناً — اولئك الذين يصطنعون عوّامات تطفو بها صنانيرهم والذين يملكون زوارق بخارية اشتروها في الفترة التي بيعت خلالها أكباد الأقراش باثمان غالية جداً — يدعون المحيط « البحر » *El mar* ، وهو اسم مذكر . كانوا يتحدثون عنه بوصفه خصماً ، او مكاناً ، بل بوصفه عدواً ايضاً . ولكن الشيخ كان لا يفكّر فيه إلا ككائن مؤنث ، وإلا كشيء يهب المنن الجزيلة أو يحبسها . واذا كانت « البحرة » تسلك مسلكاً أحمق او خبيثاً فلأنها لا تستطيع ان تفعل غير ذلك . إن القمر يذهب بصوابها كما تذهب المرأة بصواب الرجل — كذلك قال الشيخ في ذات نفسه .

كان يجذّف تجذيفاً موصولاً . ولم يكن ذلك عسيراً

عليه لأنه كان يحتفظ بسرعته دائماً ، ولأن سطح المحيط كان أملس صقيلاً باستثناء بعض الاخاديد التي كان التيار يُحدثها بين الفينة والفينة . وكان قد عهد الى التيار في ان يقوم بثلث المهمة ، حتى اذا بزغ الفجر أدرك أنه قد اندفع الى ابعد مما كان يرجو ان يبلغه في هذه الساعة .

لقد جرّبتُ الآبار العميقة اسبوعاً كاملاً ، فلم افز بشيء . كذلك قال في ذات نفسه . اما اليوم فسألقي شباكي في مستعمرات البينيث والخُنَيْزيري ، ولعلي أقع على واحدة ضخمة بينها .

وقبل ان يكتمل ضوء النهار أخرج الشيخ أطعامه ، وكاد يندفع مع التيار . وغاص واحد من تلك الأطعام إلى عمق مقداره اربعون قامة . وغاص الطعم الثاني الى عمق خمس وسبعين قامة ، على حين غاص الثالث والرابع في المياه الزرقاء الى عمق مئة قامة ومئة وخمس وعشرين قامة على التعاقب . وكان كل طعم يتدلى مطأطيء الرأس وساقُ الصنارة في داخل السمكة الطعم ، وقد شُدّت وخيطت في إحكام ، على حين كان الجزء البارز من الصنارة ، القوس والرأس ، مغطى بالسردين الطازج . وكانت كلٌ من سمكات السردين قد سُلكت من خلال عينيها الاثنتين بحيث شكل مجموعها ضرباً من الاكاليل فوق الفولاذ الناتيء . وبكلمة ، فلم يكن ثمة مليمتر واحد من

تلك الصنارة المعدّة لصيد احدى السمكات الكبار الا وهو حسن الرائحة طيب المذاق .

وكان الغلام قد اعطاه اثنتين من سمك الـــتن" الصغير الطازج ، او الخُنَيزيري . وكان الشيخ قد علقهما بخيطي الصنارة الاشد إمعاناً في الغوص ، فوترتاهما وكأنهما الرصاص . أما الخيطان الآخران فكان قد علق بهما سمكة ضخمة زرقاء من النوع المعروف بالعدّاء ، وأخرى صفراء مـــن النوع المعروف بسمك الكراكي . وكان قد استعملهما من قبل ، ولكنهما كانتا ما تزالان في حال حسنة جداً . وأيــاً مــا كان فالسردين الممتاز كان جديراً بأن يهبهما عبيراً وجاذبية . وكان كل من الخيوط في مثل ثخانة قلم رصاصي كبير ، وكان معقوداً حول عود اخضر لـيّن ، فما إن يُجذب الطعم او يُمسّ حتى يغوص العود في الماء . وكان الشيخ يحتفظ بلفيفتين من الخيوط طول كل منهما اربعون قامــة ، ففي ميسوره ان يستعين بهما اذا ما احتاج الى مزيد من الخيوط وتطلـّبت سمكة ما خيطاً يزيد طوله على ثلاثمئة قامة .

وفي تلك اللحظة راقب الرجل وَضْـعَ العيدان الثلاثــة من فوق جانب القارب ، وجذّف في تـؤدة لـكي يُبقي خيوط الصنارة عمودية مشدودة الى أعماقها السوية . كان الظلام قد توارى ، وكانت الشمس على وشك ان تشرق بين لحظة ولحظة .

ثم إن الشمس انبثقت من البحر رقيقـــة مهزولة ،

وغدا في ميسور الشيـــخ ان يرى القوارب الاخرى ، خفيضةً مع مستوى الماء ، غير نائية عن الشاطيء ، وقد انتشرت عبر التيار . ثم ازدادت الشمس إشراقاً ، وانعكس وهجها على صفحة الماء . حتى اذا تقدّمت في معارج السماء عكسَ البحر المستوي أشعتها اللاهبة الى عيني الشيخ فكادت تحرقها . وجذّف من غير ان ينظر اليها ، وخفض بصره نحو الماء ، وراقب الخيوط الغائصة على نحو مباشر في ظلمات اليمّ . لقد امسك بها في وضعٍ مستقيم ليس يقدر على مثله أيّ رجل آخر بحيث كان ثمة عنـــد كل مستوى من مستويات المحيط طعمٌ ينتظر ، حيثما اراد له ان ينتظر تماماً ، أيما سمكة يتفق ان تسبح هناك . اما الصيادون الآخرون فكانوا يدعون التيار يتقاذف خيوطهم ، وكثيراً ما تكون تلك الخيوط على عمق ستين قامة في حين يظنها الصيادون على عمق مئة .

أما انا فأمسك بالخيوط في ضبط . كذلك قال الشيخ في ذات نفسه . كل ما في الامر أني لم اعد محظوظاً على الاطلاق . ولكن من يدري ؟ لعلي اليوم أن اوفق الى شيء . إن كل يوم من الايام يفتح للانسان صفحة جديدة . وان من الافضل ان يكون المرء محظوظاً ، ولكني أوثر ان أكون دقيقاً . حتى اذا اقبل الحظ بعد ذلك وجدني على اتمّ الاستعداد .

وازدادت الشمس ارتفاعاً بعد ساعتين من الزمان ، ولم

يُنزل النظرُ الى الشرق أذى كبيراً بعينيه . كانت ثمة في مدى البصر ثلاثة قوارب ليس غير ، وكانت تتمهل خفيضةً جداً ، قريبة جداً من الشاطىء .

وقال في ذات نفسه : منذ صبـــاي الاول والشمس المبكرة تؤذي عينيّ . ومع ذلك فهما ما تزالان صالحتين . وعند المساء ، أستطيع ان أنظر في وجهها — هي الشمس — من غير ان تصاب عيناي بالسُّفعة . أما في الصباح فالنظر الى الشمس يورثني ألماً شديداً .

وفي تلك اللحظة بالذات َبصُرَ بنسر بحريّ ذي جناحين طويلين سوداوين يحوّم أمامه في السماء . وما هي الا لحظة حتى أسفّ النسر على نحو خاطف ، مائلاً على جنــاحيه المنحرفين الى الوراء ، ثم عاوَد التحويم من جديد .

وقال الشيخ في صوت عال :

« لقد أنهى مباحثه . لقد اكتشف شيئاً . »

وجذف في بــطء وفي اطراد الى حيث كان الطائر يحوّم . ولم يصطنع الشيخ السرعة ، وكان حريصاً أبداً على أن يُبقي خطوط صنارته مستقيمة متوترة . ولكنه سبق التيارَ بعضَ الشيء بحيث ظل يصطاد في دقة وضبط ، وإن يكن اصطياده ذاك اسرع مما كان جديراً به ان يكون لو لم يحاول ان يلحق بالطائر .

وحلّق الطائر في الفضاء ، ثم انشأ يحوّم وجناحــاه جامدان لا حراك بهما . وفجأةً انقضّ من حالق . وبصُر

الشيخ بسمكات طائرة تنبثق من الماء وتقلع في يأس فوق سطح البحر .

وقال الرجل العجوز في صوت عالٍ :

« دلافين ! دلافين ضخمة ! »

وسحب المجذافين من محوريهما ، وأخرج صنارة صغيرة من تحت مقدّم القارب . كانت لها قاعدة معدنية وشصّ متوسط الحجم . وعلّق بالشص طعماً من السردين . وألقاه من جانب ، ثم شدّ الخيط الى حلقة في مؤخر القارب . ثم طعّم صنارةً اخرى وتركها تتثنى في ظل القيدوم * . وعاود التجذيف ومراقبة الطائر الاسود الطويل الجناحين ، وكان قد أسفّ ، الآن ، حتى لكاد يلامس سطح الماء .

وفجأة انحرف الطائر منقضاً من جديد على السمكات الطائرة ، ثم رفرف بجناحيه في جنون ، ولكن على غير طائل . وكان في ميسور الشيخ ان يرى الانتفاخ الطفيف الذي احدثته الدلافين الكبيرة ، على وجه الماء ، فيما هي تطارد الاسماك الفارّة . وكانت الدلافين تشقّ طريقها تحت الماء ، في سرعة بالغة ، متعقبةً تلك الاسماك ، رجاة ان تكون لها بالمرصاد حين تعاود الهبوط . وقال الشيخ في ذات نفسه : إنها جمهرة ضخمة من الدلافين . وانها لمنتشرة في كل مكان . وليس للاسماك الطائرة كبير حظّ في

* قيدوم المركب : مقدمه.

النجاة . والطائر نفسه لن ينال من ذلك كلـــه شيئاً . فالاسماك الطائرة اضخم من ان يقدر عليها ؛ وهي تنطلق في سرعة خاطفة .

وراقب الاسماك الطائرة وهي تنبجس من الماء الكرّة تلو الكرّة ، وجهود الطائر الضائعة من اجـــل الفوز بأجداها . وقال في ذات نفسه : لقد افلتت هذه الجمـهرة مني . انها بعيدة جداً ، وسريعة جداً . ولكن من يدري ، فلعلي ان افوز بواحدة منهـــا تائهة ، ولعلّ سمكتي الكبيرة أن تكون غير بعيد عنها . إن سمكتي الكبيرة يجب ان تكون في مكانٍ ما .

وفوق البرّ نهدت السحائب وكأنها الجبال . ولم يبق من الشاطىء غـــير خطٍ طويل أخضر تنهض خلفه الكثبان الزرقاء الرمادية . كانت الميـــاه زرقاء داكنة ، الآن ـ داكنة الى حدّ يكاد يجعلها بنفسجية . وحـــين خفض الشيخ بصره نحوها رأى طُفاوة البحر * الحمراء في الميـــاه الداكنة ، والضوء العجيب الذي أرسلته الشمس آنئـذ . وراقب خيوطه. فالفاها تنحدر في اللجة على نحو مستقيم حتى تغيب في الأعماق . وغمرته السعادة لرؤية طُفـــاوة البحر تلك لأنها كانت تعني وجود السمك في وفرة . وكانت الشمس مرتفعة جداً ، وكانت الأضواء العجيبة التي احدثها

* او البلنكتون plankton ويقصد بها الكائنات الحيـة النباتية او الحيوانية الطافية في البحار . [المعرب]

انعكاسها على صفحة الماء تؤذن بأن الجوّ سوف يكون جيداً ، وكذلك أفادت اشكال السحاب المخيمة على البرّ . ولكن الطير كان قد احتجب عن البصر ، أو كاد ، وما عاد يبدو فوق سطح الماء شيء باستثناء باقاتٍ من عشب سارغاس الأصفر الناصل اللون ، ومثانة ارجوانية ، هلامية ، قزَحية لرئة بحر * كانت تطفو بجذاء القارب. لقد انقلبت على جنبها ، ثم قوّمت وضعها . وطفت مبتهجة مثل فقّاعة الصابون ، وأذنابها الارجوانية القاتلة البالغ طولها نحواً من متر تنسحب وراءها في الماء .

وقال الشيخ :

« آغوا مالا *agua mala* . إذهبي ايتها العاهرة ! »

ومن غير ان يترك مجذافيه انحنى قليلًا الى امام وحدّق في الماء ، فرأى السمكات الدقاق المصبّغة بلون الأذناب المنسحبة ، والسابحة بين تلك الأذناب في الظل الصغير الذي بسطته الفقّاعة الطافية . كانت لها مناعة تقيها سمّ رئات البحر ، ولكن البشر لا يتمتّعون بمثل تلك المناعة . فما إن تعلق بعض اذنابها بخيط الصنارة وتمسّ بلزاجتها ولونها الأرجواني يد الشيخ او ذراعه ، فيما هو يتربص باحدى السمكات الدوائرَ ، حتى تتقفّع تلك اليد أو الذراع وتعلوها قروحٌ كالتي يثيرها اللبلاب السامّ ، او السنديان السامّ . ولكن الاذى الذي تلحقه الـ « آغوا مالا » خاطفٌ

* رئة البحر او المدوسة حيوان بحري عادم الفقرات . [المعرب]

مؤلم كضربة سوط .

وكانت الفقاقيع القزحية اللون فاتنة . ولكنها كانت اشدّ الكائنات البحرية مخادعة وغدراً ، وكان الشيخ يحب ان يرى سلاحف البحر الضخمة تلتهمها . وكانت السلاحف اذا ما بَصُرت بها انقضّت عليها من امام ، مغمضةً عيونها لكي تنعم بالوقاية التامة ، ثم تلتهمها جسداً وأذناباً . لقد احب الشيخ مشهد السلاحف وهي تفتك برئات البحر هذه ، وأحب ان يمشي فوقها ، على رمل الشاطيء ، بعد هدوء العاصفة ، وان يسمع فرقعتها حين يدوسها باخمصي قدميه القاسيين كالقرون .

لقد أحب السلاحف الخضراء ، والسلاحف الصقرية المناقير ، باناقتها وسرعتها وثمنها الغالي ! على حين كان يستشعر ازدراءً وديّاً لذلك الضرب من السلاحف الضخمة الحمقاء ، « العديمة الرشاقة » ، الصفراء الدروع ، السالكة في حبهـا مسالك غريبة ، الملتهمة رئات البحر مبتهجةً مغمضة العيون .

ولم يكن متحجر الفؤاد مع السلاحف برغم انه انصرف الى صيدها سنوات وسنوات . كان يأسى لهـا جميعاً ، حتى تلك السلاحف الكبيرة « ذوات الظهـور الشبيهة بالصناديق » والتي يبلغ طولها طول القارب ، وتزن طناً . إن معظم الناس لا يحملون في افئدتهم ذرة من الشفقة على السلاحف لان قلب السلحفاة يواصل الخفقان بعـد انقضاء

بضع ساعات على نحرها . ولكن الرجل العجوز قال في ذات نفسه : إن لي انا ايضاً مثل هذا الفؤاد ، ويداي وذراعاي مثل ايدي السلاحف وأذرعها . والى هذا فهو يأكل بيضها الابيض لكي يُفرغ في جسده القوة . لقد فعل ذلــك طوال شهر نوار ، حتى اذا اقبل شهرا ايــلول وتشرين الاول كان في ميسوره ان يواجه السمكة الضخمة حقـاً بعزمٍ حديد .

ليس هذا فحسب . بل لقد كان من دأبه أن يشرب كل يوم مقداراً من زيت كبد القرش ، بالاناء المعدني الكبير المفضّل في تلك السقيفة التي يضع فيها كثير من الصيادين عُدَدهم . فهناك كان ذلك الزيت مبذولاً لطالبيه من الصيادين . وكان معظمهم يكره مذاقه . ولكنه لم يكن اسوأ من النهوض في مثل الساعة المبكرة التي ينهضون فيها صباحاً . والى هذا فقد كان علاجاً ممتازاً للزكام والنزلة الوافدة ، وكان ذا فائدة كبيرة للعين .

وهنا رفع الشيخ بصره نحو السماء فرأى الطائر يحوّم من جديد .

وقال في صوت عالٍ :

« لقد وجد سمكة . »

ولم تنبثق من سطح الماء أيما سمكة طائرة ، ولم تنتشر السُّميكات ههنا وههناك . ولكن فيما كان الشيخ يراقب ، بصُرَ بسمكة "تنّ" صغيرة تثب في الهواء ثم تستدير وتنقض

غائصة في الماء . واومض التنُّ لجينيّاً في وجه الشمس ، وبعد ان انقلب غائصاً في اليمّ برز من الماء ثانٍ وثالث وراحت تتواثب في كل ناحية ، ماخضةً الماء ، قـــافزة قفزات طويلة خلف الأطعام . كانت تطوّقها وتسابقها ذات اليمين وذات الشمال .

وقال الشيخ في ذات نفسه : اذا لم تنطلق في سرعة بالغة فسوف أقبض عليها . ثم راقب جمهرة الاسماك تلك وهي تثير الزبد على وجه الماء ، والطائر يسفّ فُجاءةً ويغوص التماساً للسُّميكات التي عصف بها الذعر فأكرهت على ان تفزع الى السطح .

وقال الرجل العجوز :

« هذا الطائر يُسعف كثيراً . »

وفي تلك اللحظة عينها ، توتر خيط الصنارة التي في مؤخر القارب ، تحت قدمه المطوّقة بعروة الخيـــط . فاطّرح مجذافيه ، واستشعر ثِقلَ جذبة التنّ الصغير المرتعشة ، فيما هو يمسك بالخيط في إحكام ، ويجذبه نحوه . وتعاظم ارتعاش التنّ ، وصار في ميسور الشيخ ان يرى في المـاء ظهر السمكة الازرق المسودّ وجنبيها الذهبيين قبل ان يرفعها من فوق حافة القارب ويقذف بها الى داخـــله . واستلقى التنّ في مؤخر المركب ، تحت اشعة الشمس اللاهبة ، مكتنزاً قنبليّ الشكل . وفتح عينيه الضخمتـين الغبيتين ، وراح يخبط قعر المركب بذيله النظيف الرشيق

الحركة خبطاً خاطفاً مرتعشاً . لقد اختنق . وبدافع من الشفقة ضربه الشيخ على رأسه ، ورفسه بقدمه — وكان جسده ما يزال يرتعد — الى مؤخرة القارب الظليلة .

وصاح الشيخ :

« سمكة خنيزيرية . إنها جديرة بأن تصبح طعماً جميلاً ، وان وزنها لا يقل عن عشرة أرطال . »

ولم يذكر متى شرع يخاطب نفسه ، اول مرة ، بصوت عال ؟ كان في الايام الخالية يغني وهو منفرد ، ولقد غنى في موهن من الليل ، بعض الاحيان ، حين كان وحده يدير السكان في مراكب صيد السمك او قوارب صيد السلاحف . ولعله إنما شرع يتكلم بصوت عالٍ ، وهو متوحد ، عندما فارقه الغلام . ولكنه لا يذكر ذلك . ففي تلك الايام التي تعاون فيها هو والغلام على الصيد كان من عادتهما ان لا يتكلما إلا اذا دعت الضرورة الى الكلام . كانا يتحدثان في الليل ، أو حين تعوقهما الرياح عن العمل . ففي البحر ليس من المستحسن ان يتكلم المرء من غير ما داع ، ولقد كان الشيخ يؤمن دائماً بهذه السنّة ويحترمها . اما الآن ، فقد افرغ افكاره غير مرة في قالب مسموع إذ لم يكن ثمة احدٌ قد يزعجه ذلك .

وقال في صوت عال :

« لو سمعني الناس اتكلم بصوت مرتفع اذن لظنوا

اني معتوه . ولكنْ ما دمت غــير معتوه فلست أبالي بظنونهم . وعلى اية حال فيجب ان لا أنسى ان عند الاغنياء راديوات تتحدث اليهم في مراكبهم ، وتأتيهم بأنباء مباريات البيسبول . »

وقال في ذات نفسه : ليس هــذا اوان التفكير بالبيسبول . إنه أوان التفكير في شيء واحد ليس غير : الشيء الذي ُخلقتُ من أجله . وقـد يكون حول تلك الجمهرة احدى السمكات الكبيرة — كذلك فكّر الشيخ . أنا لم اصطد إلا سمكة ضالة مـن ذلك السمك الخنيزيري المنطلق بحثاً عن الرزق . ولكن انطلاقـه كان سريعـاً ممعناً في البعد . ومن عجب ان كل ما يبرز عـلى سطح الماء اليوم ، يعدو بسرعة البرق ويتجه نحو الشمال الشرقي . هل للساعة علاقة بذلك ، أم أنها علامة من علامات الاحوال الجوية لا اعرفها ؟

ولم يعد في ميسوره أن يرى خط الساحل الأخضر . كل ما كان قادراً على رؤيته ُقنَنُ الكثبان الزرق الـتي بدت بيضاء وكأن الثلج كان يكللها ، والسحب الـتي تراءت فوقها أشبه بجبال ثلجية عالية . كان البحر داكناً جداً ، وكان النور يشكّل على وجه الماء مواشير من الضياء . وذابت رُقع الطُفاوة البالغة آلافاً مؤلفةً تحت وهج الشمس التي انتهت الى كبد السماء . واذا بالشيخ لا يرى غير المواشير الكبيرة العميقة في المياه الزرقاء وغـير

خيوطه الغارقة مستقيمةً متوترةً في الأعماق . وقدّر ان عمق المحيط هناك يبلغ ميلًا واحداً .

وعاودت سمكات التنّ الهبوط الى ما تحت سطح الماء . وكان الصيادون يخلعون اسم التنّ على جميع تلك الضروب من السمك ، ولا يميزون كل طائفـــة منها بالعَلَم الذي تُعرف به إلا حين يمضون لبيعها او لاستبدالها بالأطعام . وكانت أشعة الشمس قد غدت لاهبةً ، ولقد استشعرها الشيخ على مؤخر عنقه ، وأحسّ بالعرق يتحدّر على ظهره وهو يجذّف .

وقال في ذات نفسه : في ميسوري ان أدع القارب يجري مع التيار ، وأنام بعد أن ألفّ طرف الحبل حول إبهام قدمي لكي أُفيق في الوقت المناسب . ولكن هـذا هو يومي الخامس والثمانون ، وينبغي ان أعمـل في يقظة واحتراس .

وفي تلك اللحظة ذاتها ، وكان يراقب خيوطه ، رأى احد العيدان الخضر الناتئة التي تقوم مقام العوّامات تغطس فجأة في الماء .

وقال :

« أجل ، أجل ، ها أنا ذا ! »

وسحب المجذافين من غير ان يدعها يمسّان القـارب . وانحنى الى أمام ملتمساً الخيط فأمسكه في رفق بين الابهام والسبابة من يده اليمنى . فلم يستشعر فيه توتراً ولم يجـد

له ثقلاً . وأطبق يده على الخيط في غير إحكام . وما هي إلا برهة حتى أحسّ بجذبٍ متردد ، ليس بالصلب ولا بالثقيل ، فعرف ايّ شيء كان وراء ذلك على وجه الضبط . فعلى عمق مئة قامة كان سَيفٌ * يأكل السردين الذي يغطي رأس الصنارة وساقها حيث اخترق الشصّ المطرّق باليد رأس التنّ الصغير .

وأمسك الشيخ بالخيط في رقة . وبيده اليسرى ، وفي رفق ، حلّ العقدة التي تشده الى العود . وهكذا صار في ميسوره ان يجعله ينساب بين أصابعه من غير ان تشعر السمكة بأي توتر .

وفكّر الشيخ : ما دمتُ في مثل هذا الشهر ، وعلى مثل هذا البعد عن الساحل فليس من ريب في انها سمكة ضخمة جداً . ثم انشأ يخاطب السمكة قائلاً :

« كلي هذه الأطعام ، ايتها السمكة ، كليها ! ارجوك ان تأكليها ! لقد حفظتها طازجة من اجلكِ انتِ ، على عمق ستمئة قدم في ذلك الماء البارد وتحت جنح الظلام . هيا ، قومي بجولة اخرى في العتمة ، ثم ارجعي وكليها ! »

واستشعر الجذب الرفيق ، ثم احسّ بجذبة أعنف : لقد كان انتزاع رأس سردينة ما من الشصّ اكثر صعوبة على ما يظهر . ولكن هذا كله لم يتكشّف عن شيء .

وصاح الرجل العجوز :

---

* سمكة ضخمة قوية ذات خطم يشبه الرمح .

« تعالي ! قومي بجولة اخرى ! ليس عليك الا ان تستروحيها ! أليست شهية ؟ كلي من السردين ما تشائين الآن ، وحين تنتهين فهناك سمك التّن . إنه مكتنز اللحم ، بارد ، لذيذ . لا تكوني خجلة ايتها السمكة ! كليها ! »

وانتظر ، والخيط بين ابهامه وسبابته ، مراقباً هذا الخيط وسائر الخيوط في آن معاً لأن السمكة قد تسبح عالياً او نازلاً . ثم احسّ بالجذبة الرفيقة نفسها ، كرة اخرى .

وصاح الرجل العجوز :

« لقد اقبلتْ عليها . يا الّهي ساعِدْها على التهامها ! »

ومع ذلك ، فلم تلتهمها . لقد ولت السمكة . ولم يستشعر الشيخ شيئاً ما بعد ذلك .

وقال :

« من المستحيل ان تذهب . المسيح يعلم ان من المستحيل ان تذهب . إنها تقوم بجولة . لعلها ازدردت شصاً من قبل فهي لا تزال تذكر شيئاً من الألم الذي اورثها اياه . »

ثم إنه أحسّ بالخيط يُجذب ، كرة اخرى ، جذباً رفيقاً . وأشرق وجهه بالبشر .

وقال :

« لقد قامت بجولة ليس غير . ولسوف تلتهمها الآن . »

وغمرته السعادة وهو يستشعر انجذاب الخيط الرفيق .

ثم احسّ بشيء قاسٍ وثقيل الى حد لا يُصدّق . ولم يكن ذلك غير السمكة . فأرخى الخيط ، وأرخى ، وأرخى ، مستنجداً باحدى اللفيفتين الاحتياطيتين . وفيما الخيط يمعن في الغوص ، منساباً في رشاقة من بين اصابع الرجـــل العجوز ، كان لا يزال في استطاعته ان يُحسّ بالثقل العظيم على الرغم من أن ضغط إبهامه وسبابته كاد يكون غير ملحوظ .

وقال :

« ايّ سمكة هذه ! لقد اعترضت الصنارة فمها الآن . وإنها لتفرّ بها . »

وفكـّر : وبعد ذلك سوف تستدير . سوف تبتلعها . ولم يقل ذلك لانه كان يعلم ان المرء اذا عـبّر عن فرحه باقتراب النصر فقد لا يرى وجه النصر ابداً . لقد ادرك أيّ ضخامة كانت لتلك السمكة . وتمثّلها سابحةً في الظلمات والتنّ معترض في حلقها . وفي تلك اللحظة احسّ بالسمكة تكفّ عن الحركة ، ولكن الثقل ما يزال هنـــاك . ثم تعاظم الثقل ، فأملى جزءاً إضافياً من الخيط وأحكمَ ضغط سبابته وإبهامه لحظةً . فازداد الثقل تعاظماً ، وانشأ يغور على نحو عمودي مستقيم .

وقال الشيخ :

« لقد فازت بها . ويجب عليّ الآن ان ادعها تلتهمها ، وتلتهمها جيداً . »

وترك الخيط ينساب من خلال اصابعه ، فيما انحنى الى امام باسطاً يده اليسرى ، وأوثق طرفي الخيطين الاحتياطيين بالعروة المعدّة لهذا الغرض في طرف خيط ثالث . وهكذا أمسى على أحسن استعداد . صار عنده ثلاث لفائف من الخيوط الاحتياطية طول كل منها اربعون قامة ، الى جانب اللفيفة التي كان يستعملها .

وقال مخاطباً السمكة :

« هيا ، كلي قطعة صغيرة اخرى . كليها جيداً ! »

وفي ذات نفسه قال : كليها حتى تغيب الصنارة في قلبكِ وتقتلكِ . تعالي في سهولة ويسر ودعيني أطعنكِ بالحربون . حسنٌ جداً . هل انتِ مستعدة ؟ هل جلستِ الى المائدة منذ وقت طويل ؟

— « والآن ! » قال ذلك بصوت عال ، جاذباً بكلتا يديه جذباً شديداً . وكسب مقداراً من الخيط طوله ياردة واحدة ، ثم جذب وجذب ، متمايلاً ذات اليمين وذات الشمال ، باقصى ما يستطيع من قوة ، دائراً حول نفسه ، مستعيناً بثقل جسده كله .

ولم يثمر ذلك الجهد شيئاً . لقد ابتعدت السمكة في تؤدة ، وعجز الشيخ عن ان يرفعها إنشاً واحداً . كان حبله متيناً مُعداً للسمكات الثقال . ولقد شده الى ظهره حتى توتّر وأخذت حبّات الماء تتواثب من حوله . ثم ان الحبل شرع يطلق فحيحاً بطيئاً في الماء . ولم يُفلته الشيخ ،

مستنداً الى مقعد التجذيف ، منحنياً الى الوراء لكي يكون اقدر على مقاومة القوة الجاذبة . وبـــدأ القارب ينحرف شيئاً فشيئاً نحو الشمال الغربي .

وانطلقت السمكة على نحوٍ موصول ، وانطلـــق هو معها ، في بطء ، فوق المياه الهادئـــة . كانت الأطعام الاخرى ما تزال في اعماق المياه ، ولكنْ لم يكن ثمة ما يمكن عمله .

وقال الشيخ في صوت مرتفع :

« ليت الغلام كان معي . إن سمكةً تجرّني ، وأنا منها بمثابة وتد الجرّ . ولقد كان في استطاعتي أن اشدّ الخيط شداً اقوى ، ولكني اخاف ان تقطعه السمكة ، إن فعَلْتُ . يجب ان أتشبث بها ما استطعت ، وأن أُملي لها حين تكون في حاجة الى ذلك . وإني اشكر الله على ان السمكة تمضي الى أمام بدلاً من ان تهبط الى أدنى . »

ما الذي سأعمله اذا ما وطنتِ النفس على الهبوط الى أدنى ؟ لست ادري . ما الذي سأعمله اذا ما غاصت وقضت نحبها ؟ لست ادري . كل ما أدريه هو اني سوف أصنع شيئاً . إن هناك اشياء كثيرة في ميسوري أن أصنعها .

وتشبث بالخيط فوق ظهره وراقب انحرافه في الماء ، بينا كان القارب يتجه نحو الشمال الغربي في اطّراد .

وقال بينه وبين نفسه : إن ذلك سوف يقتلها . إنها لا تستطيع ان تفعل ذلك الى آخر الدهر . ولكنّ اربع

ساعات تقضّت ولا يزال ذلك السّيف الهائل يشق عباب الماء نحو عرض البحر من غير انقطاع ، جارّاً القارب وراءه ، فيما الرجل العجوز يشد بالخيط ، متقوس الظهر ، في قوة وعزم .

وقال :

« لقد اطعمتها الشصّ عند الظهر . ثم لم أر لها وجهاً حتى الآن . »

وكان قد ضغط قبعته المصنوعة من القشّ فوق رأسه ضغطاً شديداً ، قبل ان يوفق الى إقحام الشصّ في فم السمكة ، فاذا هي تحزّ جبينه حزاً موجعاً . واستبدّ به الظمأ أيضاً . فركع محاذراً ان يقطع الخيط ، وانزلق نحو مقدّم الزورق ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وبسط احدى ذراعيه التماساً لزجاجة الماء . وفتح الزجاجة وشرب بضع جرعات . ثم استند الى القيدوم ، ليقعد بعدُ على السارية المرفوعة من مكانها ، والتي كان الشراع قد لُفّ حولها ، وحاول ان لا يفكّر – أن يتجلد ويصبر ليس غير .

ثم انه التفت الى وراء ، فإذا هو غير قادرٍ ، بعدُ ، على أن يرى شيئاً من اليابسة . وقال في ذات نفسه : لن يقدّم ذلك ولن يؤخر . في استطاعتي دائماً ان أرجع على أضواء هافانا . ولن تغرب الشمس قبل ساعتين اثنتين ، ولعل السمكة أن ترتفع خلال هذه الفترة . واذا لم ترتفع فقد تفعل ذلك مع القمر . واذا لم يتمّ ذلك فلعله ان

يتمّ مع بزوغ الشمس . انا لا استشعر ايّ مغص ، وإني لأحسّ بفيض من القوة . إنها هي التي ابتلعت الشصّ ، لا أنا . ولكن ينبغي ان تكون هائلة جداً ، هذه السمكة ، حتى تشدّني على هذا النحو . لا شك في أنها تعضّ على المعدن بأسنانها . لشدّ ما أتمنى لو استطيع ان اراها ، لحظةً واحدة ليس غير ، لكي اعرف ايّ خصم أقارع .

ولم يغيّر السيفُ لا مسلكه ولا اتجاهه طوال ذلك الليل — أو هذا على الاقل ما استطاع الشيخ أن ينتهي اليه من مراقبته مواقع النجوم . وأمسى الجوّ بارداً بعد ان غربت الشمس ، وجفّ عَرَق الرجل العجوز على ظهره وذراعيه وقدميه المرمتين . وكان قد رفع ، خلال النهار ، ذلك الكيس الذي يغطي صندوق الأطعام ونشره تحت أشعة الشمس كي يجفّ . حتى اذا غابت الشمس طوّق به عنقه فتدلى جزء منه فوق ظهره . وفي احتراس أمرّ ذلك الجزء من تحت الحبل الذي كان يعترض ، الآن ، منكبيه . وكان في ذلك ما زوّده بضرب من الوسادة خفف من وطأة الحبل على جسده . ليس هذا فحسب ، بل لقد وفق الى ان يستند بصدره الى مقدّم القارب فيجد في ذلك بعض الراحة . والحقّ ان وضعه ذاك انتهى الى ان يكون أقل إيلاماً ليس غير . ولكنه اعتدّه ، بالقياس الى وضعه السابق ، مريحاً أو يكاد .

وقال في ذات نفسه : لا حيلة لي فيها ، ولا حيلة لها فيّ . ما دامت تواصل خطتها هذه ، على الأقل .

ووقف لحظةً وبالَ من فوق جانب الزورق ، وتطلع الى النجوم كي يتحقق من الوجهة التي يتخذها . ومن اعلى كتفيه حتى صفحة الماء بدا الخيط اشبه ما يكون بخط ذي توهج فوسفوري . كان سيرهما قد امسى أبطأ من ذي قبل ، ولم يكن الوهج المنبعث من هافانا قوياً شأنه في ما مضى ، فاستنتج الشيخ من ذلك ان التيار يحملهما في اتجاه الشرق . وقال في ذات نفسه : اذا فقدتُ انوار هافانا فمعنى ذلك اننا نحن في الاتجاه نحو الشرق . لانه لو واصلت السمكة سيرها على نحو مستقيم اذن لقُدِّر لي ان ارى الاضواء بضع ساعات اخرى . ليت شعري عمّ أسفرت مباريات البيسبول الكبرى اليوم ? لا ريب في إن من الرائع أن يتمكن الانسان من متابعة تلك المباريات بالراديو فيما هو منهمك في الصيد ! ثم اضاف مخاطباً نفسه : فكِّرْ فيها دائماً . فكِّرْ في ما انت بسبيله . يجب ان لا ترتكب حماقة ما .

وبعدئذ قال في صوتٍ مرتفع :

« لشدّ ما اتمنى لو كان الغلام معي . إذن لمدّ اليّ يد المساعدة ، واذن لشاهد هذا ! »

وفكّر : إن احداً لا يجوز ان يواجه البحر وحيداً في مثل سني هذه . ولكن لم يكن من ذلك بدّ . يجب

ان آكل التنّ قبل أن يفسد . إن هذا يحفظ علىّ قوّتي . واذكرْ ، مهما تكن غير جائع ، ان عليك ان تأكل ذلك التنّ في الصباح . أذكرْ ذلك !

وفي موهن من الليل تقدّم خنزيران من خنازير البحر نحو القارب ، وكان في ميسوره أن يسمع وثبهما ونخيرهما . وكان في ميسوره ان يميز لهاث الذكر الغليظ من تنهد الانثى الرفيق .

وقال الشيخ :

« خنزيران رائعان . انهما يلعبان ويمزحان ويحبّ بعضهما بعضاً . وإن بيننا وبينهما رباطاً من الاخوّة كالذي بيننا وبين السمكات الطائرة . »

ثم شرع يأسى للسمكة الكبيرة التي أوقعها في شركه . وقال في ذات نفسه : إنها فاتنة عجيبة ، وليس يدري احدٌ مبلغها من العمر . انا لم ارَ في حياتي كلها سمكة في مثل قوّتها أو في مثل مسالكها الغريبة . لعلها من الحكمة والتعقل بحيث تحجم عن الوثوب . وفي استطاعتها ان تهلكني لو وثبت أو اندفعت اندفاعة ضارية . ولكنْ من يدري ؟ لعلها وقعت في الشرك مراتٍ عديدة من قبل فهي تدرك أن هذه الطريقة هي التي يتعين عليها ان تصطنعها في القتال . إنها لا تستطيع أن تعرف ان خصمها الذي تواجهه رجل واحد ليس غير ، وأنه رجل هرم عالي السنّ . ولكن ايٌّ سمكة هائلة هي ! واي ثمن سوف تباع به في السوق

شرط ان يكون لحمها رقيقاً بعض الشيء ! لقد تناولت الطعم كأنها ذكر ، وهي تشد كأنها ذكر ، وليس ينطوي نضالها على شيء من الذعر . ألا ليت شعري ، هل في رأسها خطة ما ، أم أنها مجرد يائسة مثلي أنا ؟

وذكر كيف ألقم الطعمَ ، ذات مرة ، أحدَ سيفين اثنين . إن السمكة الذكر تدع السمكة الانثى تغتذي قبلها دائماً . فما كان من السمكة التي نشب الشصّ في حلقها - السمكة الانثى - إلا ان قاتلت قتالاً ضارياً مذعوراً يائساً ما لبث أن انهك قواها . وطوال تلك الفترة اقامت السمكة الذكر الى جانبها ، عابرةً الخيط ، محوّمة معها عند سطح الماء . وإنما كان تحويمها قريباً الى حد خشي الشيخ معه ان تقطع الخيط بذنبها الحادّ مثل المنجل وفي مثل حجمه وشكله تقريباً . حتى اذا جذب الشيخ الانثى بمحجنه وأهوى عليها بالهراوة ، متشبّثاً بمنقارها الذي كان طويلاً كالرمح خشناً مثل ورق الزجاج ، ضارباً اياها على امّ رأسها الى أن استحال لونها الى لون يكاد يشبه لون القصدير الذي تُطلى به ظهور المرايا ، ثم رفعها هو والغلام الى القارب - حتى اذا تمّ ذلك كله اقامت السمكة الذكر الى جانب القارب لم تفارقه . وبعد ذلك ، فيما كان الرجل العجوز يحرّر الخيوط ويُعدّ الحربون ، وثبت السمكة الذكر عالياً في الهواء ، غير بعيد عن القارب ، لترى اين كانت أنثاها ، ثم غاصت في اعماق

الماء ، وقد نشرت جناحيها المصبّغين بلون ازرق فاتح – وبكلمة أخرى زعانفها الصدرية – وبدت جميع خطوط جلدها العريضة ذات اللون البنفسجي الزاهي . ما كان اجملها ! وما كان أخلصها وأوفاها ! إنّ الشيخ لم ينسَ ذلك قط .

وقال الشيخ في ما بينه وبين نفسه : هذه أفجع قصة وقعت لي مع أسياف البحر . ولقد رانَ الحزن على الغلام أيضاً ، فالتمسنا من السمكة القتيل العفوَ والمغفرة ونحرناها في الحال .

– « ليت الغلام كان معي ! » قال ذلك في صوت عالٍ واستقر على ألواح مقدّم القارب المستديرة ، وأحسّ من خلال الخيط المشدود الى كتفيه ، بقوة السمكة الضخمة تقوده في غير ما انقطاع الى حيث اختارت .

وفكّر الشيخ : لقد غدرتُ بها غدراً . ولولا حبائلي لما أكرِهَتْ على أن تختار . وكانت قد آثرتِ البقاء في اعماق المياه القاتمة بعيداً عن جميع الاشراك والحبائل وضروب الغدر . ثم جئتُ أنا واخترتُ ان انطلق الى هنا لكي ابحث عنها بعيداً عن جميع الناس ، بعيداً عن جميع الناس في العالم . وها نحن الآن ، أنا وهي ، متّحدان . متحدان منذ الظهر . وليس ثمة أحدٌ يمدّ إلي أو اليها ، يد العون .

وقال في ذات نفسه : لعله ما كان ينبغي لي ان

اكون صياداً . ولكنْ ذلك هو الشيء الذي خُلقتُ من أجله . يجب ان لا انسى ، بحال من الاحوال ، ان آكل سمكة التنّ حين يرتفع الضحى .

ومع الفجر أمسك شيء ما بأحد الاطعام التي كانت وراءه . وانقصف العود الاخضر ، وشرع الخيط يندفع فوق حافة ظهر القارب . وفي غمرة الظلام استلّ الشيخ مديته من غمدها ، وانحنى الى الوراء ، ملقياً ثقل السمكة بكاملها على كتفه اليسرى ، وقطع الخيط على خشب الحافة . ثم انه قطع الخيط الآخر ، الأقرب اليه ، ووصل — في غمرة الظلام أيضاً — ما بين طرفي اللفيفتين الاحتياطيتين . لقد عملَ في كثير من البراعة بيد واحدة ، واطئاً بقدمه على اللفيفتين تثبيتاً لهما ، فيما كان يُحكم عَقْد الخيطين . وهكذا تمّت له ست لفائف من الخيوط الاضافية . اثنتان من كل من الخيطين الرئيسيين اللذين بترهما ، واثنتان من الخيط الذي وقعت سمكته في شركه . وكانت كلها مترابطة .

وقال في ما بينه وبين نفسه : حين يرتفع النهار سوف أنقلب الى الخيط البالغ طوله اربعين قامة وأبتره هو ايضاً وأشد الخيوط الاضافية الى غيرها . وبذلك اخسر مئتي قامة من حبال الزوارق القطلونية الجيدة ، عدا الشصوص وقواعد الصنانير . ولكن هذه كلها يمكن تعويضها ، اما سمكتي الكبيرة فمن ذا الذي يعوّضني منها اذا ما ألقمتُ

الشصّ سمكةً أخرى فقَطَعتْ ما بيني وبينها ؟ انا لا ادري ما نوع هذه السمكة التي التهمت الطعم في هذه اللحظة : أهي سيف ، ام عريض المنقار ، أم قرش ؟ انا لم أسحبها قطّ حتى أعرف . وينبغي ان اتخلص منها في اسرع وقت مستطاع .

ثم قال بصوت عال :

« ليت الغلام كان معي ! »

وفكّر : ولكنّ الغلام ليس معك . ليس معك غير جلدك الهرم ، ومن الخير لك ان ترتدّ الى خيطك الاخير ، الآن ، سواء أكانت الظلمة غامرةً الكونَ ام لم تكن ، وتقطعه وتضيف خيطَيْ الاحتياط الى سائر الخيوط .

وكذلك فعل . كان عملًا عسيراً في الظلام . وفيما هو منصرف الى العمل وثبت السمكة وثبة طرحته على وجهه ارضاً ، وغادرت تحت عينيه جرحاً . وسال الدم على خده بعض الشيء . ولكنهُ ما لبث أن تخثّر وجفّ قبل ان ينتهي الى ذقنه ، فاتخذ الشيخ سبيله عائداً الى مقدّم القارب واستند الى خشبه . وعدّل وضع الكيس ، وفي عناية بالغة أزاح الخيط الى ناحية جديدة من كتفيه . وإذ اتخذ من منكبيه شبه آلةٍ رافعة ، راح يقدّر في دقة قوة السمكة . ليس هذا فحسب ، بل لقد صار في ميسوره ان يُسبل يده في الماء لتتمّ له ، بذلك ، فكرة

عن سرعة القارب .

ليت شعري لمـــاذا وثبتْ هذه الوثبة ؟ ينبغي ان يكون الشص" المعدني قد انزلق فوق ظهرها الشبيه بالجبل . وليس من ريب في ان ظهرها لا يمكن ان يؤلمها بقـدر ما يؤلمني ظهري . ولكنها لا تستطيع ان تستاق هـــذا القارب الى الأبد ، مهما كانت ضخمة . وعلى اية حـــال فقد تخلصتُ الآن من كل مـــا يعوقني . وان عندي احتياطياً كبيراً من الخيوط . وهل كنت اطمع في شيء اكثر من ذلك ؟

وفي وداعة قال بصوت عال :

« أيتها السمكة ، سوف أبقى معــكِ حتى تحضرني المنية ! »

وهي ايضاً سوف تبقى معي في مـا اظن ، كذلك فكّر الشيخ ، وأنشأ ينتظر ارتفاع الضحى . كان الجو" بارداً الآن ، قبيل الفجر ، فالتصق الشيخ بالخشب التماساً للدفء . وقال بينه وبين نفسه : سوف أبقى مـا بقيتْ هي . ومع مولد الضوء بَصُرَ بخيطه ممتداً في انحراف نحو أعماق البحر . وتقدّم القارب في اطّراد . حتى اذا ذرّ قرن الشمس أصابت أشعتها منكب الشيخ الأيمن .

وقال :

« إنها تتجه نحو الشمال . »

وفكّر : كان خليقاً بالتيار أن يدفع بنا الى بعيد

في اتجاه الشرق . ولشدّ ما أتمنى لو انحرفت السمكة مع التيار . فمثل ذلك يؤذن بأن التعب قد شرع يتطرق اليها . حتى اذا تقدمت الشمس في معارج السماء لم يبدُ على السمكة ايما أمارة من أمارات التعب . ولكن كان ثمة ظاهرة واحدة مشجعة : فقد كان انحراف الخيط يؤذن بأنها كانت تسبح على عمق اقلّ من ذي قبل . ولم يكن ذلك ليعني ، ضرورةً ، أنها سوف تثب . ولكنها قد تفعل .

وقال الرجل العجوز :

« دعها تقفز يا ربّ ! ان عندي مقداراً من الخيوط لمواجهتها . »

وفكّر في ما بينه وبين نفسه : لعلي اذا جذبت الخيط جذباً اشدّ قليلًا آذاها ذلك فوثبت . والآن ، وقد طلع النهار فقد صار من الخير ان تثب كي تمتلىء الجيوب المرصوفة على طول عمودها الفقري بالهواء ، وعندئذ يتعذر عليها الغوص الى الاعماق والموت فيها .

وحاول ان يشدّ الخيط بعض الشيء ؛ ولكنه كان قد انتهى ، بعد ان التهمت السمكة شصّه ، الى حالٍ من التوتر تكاد تبلغ نقطة الانقصاف . حتى اذا انحنى الى الوراء لكي يجذبه اصطدم بمقاومة أفهمته ان من المتعذر عليه تقصير الخيط بعد الآن . وفكر قائلًا : ينبغي ان لا أشدّه على الاطلاق . إن كل شدّة توسع الشقّ الذي

احدثته الصنارة ، فما إن تثب السمكة حتى تتحرر منها.
وعلى اية حال ، فأن الشمس تمدّني بنشاط جديد ، وللمرة الاولى لا أجد الرغبة في النظر اليها .

وكانت أعشاب صفراء قد علقت بالخيط ، ولكن الشيخ رأى في ذلك حملاً جديداً يتعين على السمكة ان تقطره . وسعدَ بهذا . لقد كانت اعشابَ الخليج الصفراء التي اطلقت ذلك الضوء الفوسفوريّ كله في ساعات الليل .

ووجّه الخطاب الى السمكة :

« ايتها السمكة ! انا احبك وأكنّ لك اعظم الاحترام ، ولكني سوف أصرعك قبل ان ينقضي النهار ! »

وفكر بينه وبين نفسه : فَلْنَرْجُ ذلك .

وتقدّم نحو القارب طائر صغير مقبلٌ من ناحية الشمال . كان طائراً من تلك الطيور المغرّدة الحمراء الذنب ، وكان ينطلق مسفّاً فوق سطح الماء . ولقد كان في ميسور الشيخ ان يلاحظ انه متعب جداً .

وانتهى الطائر الصغير الى مؤخر القارب ، واستراح هناك . ثم انشأ يحوّم حول رأس الشيخ ليستقر فوق الخيط حيث نعمَ بقسط اكبر من الراحة .

وسأل الشيخ الطائر :

« ما عمركَ ؟ هل هذه اول رحلة تقوم بها ؟ »

ونظر الطائر اليه وهو يتكلم . كان من التعب بمحلّ جعله يُحجم حتى عن التأمل في الخيط ودرسِه . ولقد ترنح عليه فيما كانت قدماه الدقيقتان تتشبثان به .

وقال له الشيخ :
« إنه مكين . انه مكين اكثر مما يجب . وعلى كل حال ، فليس ينبغي لك ان تكون متعباً الى هذا الحد بعد ليلة لا ريح فيها . ما الذي يدعو الطيور الى الفرار ؟ »
وبينه وبين نفسه قال : انها البزاة . البزاة التي تنطلق الى عرض البحر لكي تلقاها هناك . ولكنه لم يذكر شيئاً من ذلك على مسمع من الطائر الذي ما كان في طوقه أن يفهمه على أية حال ، والذي كان خليقاً به ان يتعلّم أشياء كثيرة عن البزاة في وقت قريب .
وقال مخاطباً الطائر الصغير :
« إنعم براحة سابغة ، أيها الطائر الصغير . ثم انطلِقْ نحو اليابسة وانتهِزْ فرصك مثل ايّ رجل او طائر او سمكة . »
وشجّعه الكلامُ ، لأن ظهره كان قد تصلّب الليلة البارحة ، فهو يؤلمه ألماً شديداً .
وقال :
« إبقَ في منزلي إذا شئت . انا آسف لعدم تمكّني من نشر الشراع ونقلك الى اليابسة على جناح النسيم الرفيق الذي يهبّ الآن . ولكن عندي ضيفاً عزيزاً ! »
وفي تلك اللحظة انتفضت السمكة انتفاضة مفاجئة صرعت الشيخ عند مقدّم المركب ، وكان خليقاً بها ان تقذف به الى اعماق اليمّ لو لم يتشبث بجانب الزورق ويرخي الخيط بعض الشيء .

وكان العصفور قد طار حالما انتفض الخيط . ولم يوفق الشيخ الى ان يراه وهو يطير . لقد لمس الخيط ، في عناية ، بيده اليمنى ، ثم لاحظ ان يده ملوثة بالدم .

ـ « هذا يعني ان شيئاً ما قد جرحها . » قال ذلك بصوت مرتفع ، وجذب الخيط ليرى ما اذا كان في امكانه ان يقلب السمكة . ولكنه لم يكد يبلغ نقطة الانقصاف حتى كفّ عن الجذب ، ، والتمس سناداً يقاوم به ضغط الخيط .

وقال :

« واخيراً شعرتِ بألم الضربة ، ايتها السمكة . وكذلك ، شهد الله ، شعرتُ انا ! »

واجال طرفه في ما حوله بحثاً عن العصفور ، إذ كان يجد في رفقته عزاء وسلوى . ولكن العصفور كان قد مضى لسبيله .

وقال الرجل في ما بينه وبين نفسه : انت لم تمكث طويلًا . ولكنك مخطيء لأن المكان الذي تقصد اليه أقسى واصعب ، حتى تبلغ الشاطىء . كيف أجزتُ للسمكة ان تصرعني بتلك الجذبة المفاجئة ؟ لقد غدوتُ أبله من غير ريب ! أو لعلي كنت أنظر الى العصفور وافكر فيه . والآن ، ينبغي أن أعمل في يقظة ، وأن آكل التنّ حتى أحفظ عليّ قوتي .

وقال في صوت مرتفع :

« ليت الغلام كان معي ! وليتني جئتُ بشيء من الملح ! »

وحوّل ثقل الحبل الى منكبه الأيسر ، وركع في احتراس ، وغسل يده في ميـــاه المحيط وأبقاها مغمورة هناك مدةً تزيد على الدقيقة ، مراقباً الدم وهو ينسحب على وجه البحر ، وحركة المياه المطردة حول يـــده فيما كان القارب يتابع طريقه .

وقال الشيخ :

« لقد تباطأ كثيراً . »

وكان يودّ لو يُبقي يده في المياه المالحة فترةً أطول ، ولكنه خشي ان تجذبه السمكة جذبة اخرى مفاجئة . فنهض ، ملتمساً سناداً يُقيم به توازنه ، ورفع يده في وجه الشمس . كانت حزّة الخيط هي التي جرحت لحمـــه . ولكنّ الجرح كان في الجزء العامل من يده . ولقد عرف أنه قد يحتاج الى يديه الاثنتين قبل ان يبلغ هذا الصراع غايته . ومن هنا كانت إصابته بهذا الجرُح حتى قبل بدء الصراع أمراً مزعجاً .

وقال حين جفّت يده :

« والآن يجب ان آكل التنّ الصغير . في استطاعتي أن اسحبه بالمحجن وأنعم بلحمه هنا ، في أمن . »

وانحنى الى أمام ، واستعان بالمحجن على سحب التنّ من تحت مؤخر القارب ، محترساً من أن يمسّ الخيوط الملتفة .

ثم انه نقل الخيط الى منكبه الأيسر كرة اخرى ، متكئاً على يده وذراعه الايسرين ، ونزع التنّ من رأس المحجن ، وأعاد المحجن الى مكانه . حتى اذا تمّ له ذلك وضع احدى ركبتيه على السمكة وانتزع قِدَداً طوليّة من لحم أحمر داكن ، من مؤخر الرأس حتى الذنب . كانت قدداً إسفينية الشكل وكان قد قطعها من العمود الفقري الى حافة البطن . وحين وُفق الى انتزاع ستّ قِدَد نشرها على خشب القيدوم ، ومسح مديته بجانبٍ من بنطلونه ثم رفع هيكل التنّ من ذيله وألقاه في اليمّ .

— « لست اظن ان في استطاعتي أن آكل واحدةً بكاملها . » قال ذلك وأمرّ سكّينه عبر إحدى القِدد . كان في استطاعته ان يستشعر ضغط الحبل الثقيل المطّرد . وتشنجت يده اليسرى . وألقى عليها نظرة اشمئزاز فيما كانت تتشبث بالخيط تشبثاً شديداً .

وقال :

« ايّ نوع من اليد أنتِ ؟ تشنجي اذا شئتِ . إجعلي من نفسك مخلباً ، فلن يفيدكِ ذلك شيئاً ! »

وفكّر قائلاً : هيّا ، ونظر الى الماء عند منحرَف الخيط . كُل لحم التنّ هذا ، الآن ، فأنه جدير بأن يقوّي يدك . إن الذنب ليس ذنب اليد ، بعد ان قضيتَ هذا الوقت كله مع السمكة . ولكنك قد تبقى معها الى آخر الدهر . كُلِ التنّ الآن .

وتناول قطعة حشا بها فمه ، وأنشأ يمضغها في أناة . إنها لم تكن رديئة .

وقال في ذات نفسه : إمضغها جيداً وانتزِع جميع عصاراتها . ولا شك في انك لو أكلتها مع شيء من عصير الليمون الحامض أو عصير البرتقال ، او مع شيء من الملح ، لكانت أشهى .

وسأل يده المتشنجة التي انتهت الى ان تصبح متصلبة مثل ايدي الموتى :

« كيف حالك ، أيتها اليد ؟ سوف آكل مقداراً اضافياً من اجلك . »

وأكل الجزء الآخر من القدة التي كان قد قطعها نصفين . ومضغها في تؤدة ، ثم تفل الجلد .

- « كيف تشعرين الان ، أيتها اليد ؟ أم أنّ اوان معرفه ذلك لم يحن بعد ؟ »

وتناول قطعة اخرى وحشا بها فمه .

وفكّر بينه وبين نفسه : إن هذا التن قوي حافل بالدم . ولقد كنتُ محظوظاً حين اصطدته بدلاً من ان اصطاد احد الدلافين . فالدلفين حلو اكثر مما ينبغي . اما التن فأبعد ما يكون عن الحلاوة ، ولا تزال قوته كلها كامنةً فيه .

واردف مخاطباً نفسه : وأياً ما كان فليس ثمة غير شيء اساسي واحد : هو أن آكل . وكم أتمنى لو كان

عندي قليل من الملح . والشمس ؟ أتفسد ما بقي أم تجففه ؟ لست أدري . واذن فمن الافضل ان آكل ذلك كله على الرغم من أني غير جائع . إن السمكة هادئة ثابتة . سوف آكل ذلك كله . وعندئذ اصبح مستعداً لاستئناف العمل .

وقال :

« إعتصمي بالصبر ، ايتها اليد ! إنما أكره نفسي على الأكل من أجلك ! »

وبينه وبين نفسه قال : لَشدّ ما أتمنى لو استطيع أن أطعم السمكة . إنها اختي . ولكنْ يتعّين عليّ ان أقتلها ، وان احتفظ بقوّتي لكي أقـــدر على ذلك . وفي أناة ووعي أكل القدد الأسفينية الشكل كلها .

وتصدّر ، ماسحاً يده ببنطلونه .

وقال :

« والآن ، في استطاعتكِ ان ترخي الحبل ، أيتهـــا اليد . وفي ميسوري أن أمسكه باليد اليمنى وحدها حتى تكفّي عن هذا الهراء ! »

ووضع قدمه اليسرى على الحبـــل الثقيل الذي كانت اليد اليسرى ممسكةً به . واتخذ من جسده كله مُخـــلاً يخفّف به وطأة الحبل الذي أنقض ظهره .

وقال :

« يا السّهي ، ساعدني على طرد هـذا التشنج . لأني لا ادري ما الذي ستفعله السمكة . »

وبينه وبين نفسه قال : ولكنها تبدو هادئــــة تتّبع خطّتها المرسومة . وفكّر : ولكن ما خطتها ؟ ومـا هي خطتي ؟ إن عليّ ان أرتجل خطة تتفق مع خطتها ، لأنها هي التي تقود ما دامت على هذا المِظَم كله . ولو أنها قرّرت ان تثب إذن لقتلتها . ولكنها تؤثر البقاء في الأعماق ، الى الابد . واذن فينبغي ان أبقى معهـــا في الاعماق ، الى الأبد .

وحكّ يده المتشنجة ببنطلونـــه ، وحاول أن يلـيّن أصابعها . ولكنها أبت ان تنفتح . ومن يدري ، فلعلها أن تنفتح اذا تعرّضت لأشعة الشمس . لعلهـا ان تنفتح عندما تُهْضَم سمكة التنّ النيئة . ولكن اذا ما اضطررت الى استعمالها فعندئذ سأعمد الى فتحها ، مهما يكن الثمن . ولكني لا أريد ان أفتحها الآن عنوةً . انا أؤثر ان تنفتح هي بطوعها ، وان تستأنف الحركة والنشاط ساعـة تشاء . وعلى أية حال ، فقد أسأتُ اليها كثيراً ، الليلةَ البارحة ، حين تعيّن عليّ ان أحلّ مختلف الخيوط ثم اشد بعضها الى بعض .

وأجال بصره في البحر واستشعر مدى الوحدة الـــتي تكتنفه . ولكنه ظلّ قادراً على ان يرى مواشير الضياء في الاعماق المظلمة ، والخيطَ مندفعاً الى امام ، وتموجات الماء الساجي العجيبة . كانت ترتفع الآن الى اعـــلى للقاء الرياح التجارية . وتطلّع امامه فرأى سرباً من البـــط

البري يناطح السماء ، ثم يغيب ، ثم يبدو من جديد . وأدرك الشيخ ان المرء لا يمكن ان يكون وحيداً ، وحدةً كاملة ، في عرض البحر .

وفكر في اولئك الذين يخشون ان يركبوا الزوارق وينطلقوا من الشاطىء الى ابعد من مدى النظر . وأدرك انهم على صواب في الاشهر التي تتقلب فيها الاحوال الجوية تقلباً مفاجئاً . ولكنهم اجتازوا هذا الموسم ، ودخلوا في شهور الاعاصير . وحين تخلو هذه الشهور من الاعاصير فلا ريب في انها اجمل ايام السنة على الاطلاق .

وحين تنذر الدنيا بأعصار يكون في مستطاعك دائماً ان تقرأ أماراته في السماء ، قبل بضعة ايام ، اذا كنت في اليمّ . إنهم لا يرونه من على الشاطيء لأنهم لا يعرفون إلام ينبغي أن ينظروا — كذلك قال بينه وبين نفسه . ويجب ان لا ننسى ، الى هذا ، ان شكل السحب حين يُنظر اليها من اليابسة غير شكلها حين يُنظر اليها من البحر . ولكن ليس ثمة اعاصير مقبلة الآن .

وتطلع الى السماء فرأى الغيوم البيضاء المتلبّدة على شكل طبقات متراكمة من « البوظة » الشهية ، ورأى عالياً فوقها ، ريش الطحارير * الرقيقة تناطح سماء أيلول

* cirrus ، واحدها طحرور ، وهي ضرب من الغيم على شكل خيوط دقيقة متصلة على هيئة فرشاة او ندف صوفية او شبكات صغيرة . وتكون في الغالب على هيئة غيمة ريشية صغيرة في أعلى طبقات الجو . [المعرب]

العالية .

وقال في صوت مرتفع :

« نسيم عليل . هذا الجـو يلائمني اكثر مما يلائمكِ ، ايتها السمكة ! »

كانت يده اليسرى لا تزال متشنجة ، ولكنه كان قد شرع يحل عقدتها شيئاً بعد شيء .

وفكّر : أنا أكره التشنج . انه خدعة قذرة من خدع جسدك نفسه . والواقع ان إصابة المرء بالاسهال نتيجة للتسمم البتوميني والتقيء الناشيء عنه لأمرٌ مخجل حقاً أمام الناس . أما التشنج فقد كان ينظر اليـه نظرته الى شيء أدهى من ذلك وأمرّ ، شيء يُخجل نفسَ المرء وبخاصة حين يكون وحيداً .

وبينه وبين نفسه قال : لو كان الغلام هنا اذن لفرك يدي وليّنها من الساعد . ولكن لا داعي للجزع ، فلا بدّ ان تعاودها الحياة .

وفجأةً ، وحتى قبل ان يرى التغير الذي طرأ عـلى انحراف الخيط في الماء ، أحس بظاهرة جديدة في ثِقل الحبل . فما كان منه إلا ان انحنى على الخيط صافعاً فخذه في قوة وعنف بيده اليسرى المتشنجة ، وانشأ يتأمل الخيـط وهو يرتفع .

وصاح :

« ها هو يصعد . هيّا ، أيتها اليد ! هيّا ارجوك ! »

وارتفع الخيط في تؤدة واطراد . ثم انتفخ الاوقيانوس أمام القارب ، وانبثقت السمكة من الماء ، وكان انبثاقها متطاولاً وكأنه شيء لا نهاية له ، وكان الماء يقطر من جنباتها جميعاً . كانت تتلألأ تحت أشعة الشمس ، وكان رأسها وظهرها بنفسجيين داكنين ، على حين كانت الخطوط التي توشح جانبيها عريضة ذات لون أزرق ليلكي . أما رمحها فكان طويلًا كمضرب البيسبول ، محدداً كالحسام . وانبثقت السمكة بكاملها من الماء ، ثم غاصت من جديد بمثل مرونة الغواص . ورأى الشيخ الى ذيلها الضخم الشبيه بالمنجل يغيب في الماء . وأخذ الخيط يعدو من جديد .

وقال الشيخ :

« إنها اطول من الزورق بقدمين اثنين . »

كان الخيط يكرّ في سرعة ، ولكن في اطراد ، ولم تكن السمكة مذعورة على الاطلاق . وبيديه الاثنتين حاول الشيخ أن يشدّ الخيط في قوة ، محاذراً دائماً أن يبلغ نقطة الانقصاف . لقد ادرك انه إن لم يعقْ حركة السمكة بضغط مطّرد فعندئذ يصبح في ميسورها أن تمضي بالخيطّ كله وتقطعه .

وقال في ذات نفسه : إنها سمكة هائلة ، ويتعيّن علي أن انتصر عليها . ينبغي أن أحول بينها وبين ان تكوّن فكرة عن قوتها ، وما الذي تستطيع ان تفعله اذا ما انطلقت تعدو . ولو كنتُ مكانها اذن لأقلعتُ ، في

الحال ، عن كل شيء ومضيتُ حتى ينقطع شيء ما . ولكن هذه الحيوانات ليست ، ولله الحمد ، على مثل ذكائنا ، نحن الذين نفتك بها . على الرغم من انها اكثر منا نبلاً واكثر مقدرة .

وكان الشيخ قد رأى في حياته كثيراً من السمكات الكبار . لقد رأى كثيرات تزن كل واحدة منها اكثر من الف رطل ، واصطاد اثنتين في مثل ذلك الحجم . ولكنه ما كان يعمل وحده آنذاك . اما اليوم فهو متوحد على ظهر هذا الزورق ، وقد احتجب الشاطيء عن ناظريه ، وشُدّ الى اكبر سمكة قُدّر له ان يراها أو ان يسمع بمثلها عُمرَهُ كله ، ولا تزال يده اليسرى مطبقة مثل براثن نسرٍ أُنشبت في احدى الطرائد .

وبينه وبين نفسه قال : ولكن التشنج سوف يزايلها آخر الامر . لا ريب في انها سوف تلين لتساعد يدي اليمنى . إن هناك ثلاثة أشياء يجب ان تظل متلازمة تلازُمَ الأخوة : السمكة ويداي الاثنتان . أجل يتعين عليها ان تلين ... فليس جديراً باليد الوفية أن تصاب بالتشنج . وها هي ذي السمكة قد تباطأت كرةً اخرى وعادت الى سرعتها السوية .

وفكّر : إني لأتساءل لماذا وثبت ؟ لقد وثبت وكأنما تريد ان تريني مبلغ ضخامتها . وعلى أية حال فقد عرفتُ ضخامتها الآن . ولشدّما اتمنى لو استطيع أن أُريها أيّ رجل انا . ولكنها قد

ترى ، عندئذ ، يدي المتشنجة . وأياً ما كان ، فمن الافضل أن أدعها تظن أني اكثر رجولةً مما ابدو ، وهكذا أصبح كما ظنّت حقاً . وتابع تفكيره : أتمنى لو كنت انا السّمكة . إن كل ما فيها متفوّق . أما انا فليس عندي غير ارادتي وذكائي .

واستند الى الخشب ، وتحمّل عذابه في صبر . وسبحت السمكة على نحو موصول ، وانساب القارب وئيداً عبر المياه الداكنة . وثار البحر ، بعض الشيء ، تحت وطأة الريح الهابّة من ناحية المشرق . وعند الظهر انطلقت يد الشيخ المتشنجة من عقالها .

— « هو ذا نبأ لا يسرّكِ ، ايتها السمكة ! » قال ذلك وعدّل وضع الخيط فوق الأكياس التي تغطي ظهره .

واستشعر شيئاً من الراحة ، ولكن الألم كان يُلحّ عليه ، برغم أنه لم يسلّم بوجود ذلك الألم على الاطلاق .

وقال :

« أنا لست تقيّاً ، ولكني خليق بأن أتلو « أبانا » و« السلام عليك يا مريم » اذا وُفقتُ الى اقتناص هذه السمكة . بل إني لأقسم لأحجّنّ الى مزار العذراء اذا ما اصطدتها . ذلك نذرٌ عليّ . »

وشرع يتلو صلواته على نحوٍ آليّ . وفي بعض الفترات كان التعب يرهقه الى درجة تنسيه كلماتها ، فهو يتلوها في سرعة لكي تنطلق ميكانيكياً . وبينه وبين نفسه قال :

إن « السلام عليك يا مريم » أيسر من « أبانا » وأسهل .
— « السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة نعمة . الربّ معك . مباركة انت بين النساء ، ومباركة هي ثمرة بطنك يسوع المسيح . ايتها القديسة مريم ، يا أمّ الله ، صلي من اجلنا نحن الخاطئين ، الآن ، وفي ساعة موتنا ، آمين ! » ثم أضاف : « ايتها العذراء المباركة ، صلي من أجل موت هذه السمكة ، على الرغم من أنها سمكة رائعة ! »

حتى اذا أتمّ صلواته استشعر أنه أنشط من ذي قبل . بيد أن الألم ظلّ على حدّته تماماً ، بل لعله انتهى الى ان يكون اشدّ مضاضة . وانحنى على خشب القيدوم وأنشأ يحرك أصابع يده اليسرى .

وكانت الشمس لاهبة الآن على الرغم من ان النسيم اخذ يهبّ في رفق .

وقال الشيخ :

« من الافضل ان اجدد أطعام ذلك الخيط القصير الذي في مؤخر القارب . واذا اعتزمت السمكة ان تمكث ليلةً أخرى فسوف أكون مضطراً الى أن آكل مرة ثانية . والى هذا فيجب ان لا أنسى أن زجاجة الماء لم يبق فيها غير ثمالة ضئيلة . ولست اظن ان في مستطاعي ان افوز ههنا بشيء غير بعض الدلافين . ولكن اذا اكلت لحمه طازجاً جداً فقد لا يصعب عليّ ان أسيغه . وكم أتمنى لو ان سمكة طائرة حطت في القارب هذه الليلة . ولكن ليس

عندي ايّ ضوء حتى اجتذبها . ان السمك الطائر شهي جداً اذا أكل نيئاً . ولن اكون مضطراً الى تقطيعه . يجب أن ادخر كامل قوّتي الآن . يا السّهي ، أنا ما كنت أعلم أنها كبيرة الى هذا الحد ! »

ثم أردف :

« ومع ذلك ، فسوف أصرعها ، بعظمتها كلها ، ومجدها كله ! »

وفكر : على الرغم من ان هذا ليس بعدل . ولكني اريد ان أريها ايّ شيء يستطيع ان يعمله الانسان وأيّ مشقة يستطيع أن يحتمل .

وقال :

« لقد قلت للغلام إني عجوز غريب . وها قد حانت الساعة التي يتعين عليّ ان أثبت فيها صدق قولي . »

لكأن إثباته ذلك الفَ مرة من قبل لا يعني شيئاً بالنسبة اليه . وها هو ذا يقيم الدليل على صدق قالته كرةً اخرى . كانت كل مغامرة من مغامراته جديدة بالكلية ، وما كان ليفكر يوماً بالماضي ، فيما هو منهمك في عمله .

وبينه وبين نفسه قال : ليتها تنام ، وعندئذ استطيع انا ان أنام وأرى الأُسود في الحلم . لمَ كانت الأُسود هي الشيء الرئيسي الذي بقي له ؟ وهنا قال لنفسه : لا تفكّر ، ايها الرجل العجوز . استرح الآن على الخشب ، ولا تفكر بشيء . إن السمكة تعمل ناشطة . فاعمل أنت

أقلّ ما تستطيع .

وتقضّت الظهيرة ، والقارب لا يزال يتقدم في أناة واطراد . ولكن النسيم المشرقي أخذ يُسهم ، الآن ، في دفع القارب . وهكذا حُمل الشيخ ، في رفق ، على متن الامواج . وغدا الألم الذي اثاره الحبل في ظهره أخف وطأً وأدنى الى الاحتمال .

وعند الأصيل عاد الخيط يرتفع كرة أخرى . ولكن السمكة واصلت مسيرها على عمق أقلّ بعض الشيء . وكانت الشمس تلقي أشعتها فوق كتف الشيخ وذراعه اليسرى وظهره . ومن هنا استنتج ان السمكة قد اتجهت نحو الشمال الشرقي .

أما وقد رأى السمكة مرةً فقد صار في وسعه أن يتمثل السّيف سابحاً في الماء بزعانفه الحمراء الداكنة ، المنشورة كالأجنحة ، وبذيله الأفقي الضخم يشقّ حجاب الظلماء . وقال الشيخ بينه وبين نفسه : ليت شعري الى ايّ مدى يستطيع ان يُبصر في تلك الاعماق ؟ ان عينه هائلة ، وفي استطاعة الفرس ان يرى سبيله في الظلام بعين أصغر بكثير . ولقد أتى عليّ حينٌ من الدهر كنت أبصر خلاله جيداً في الظلام . لست أعني في الظلام المطلق . ولكن كما ترى الهرة تقريباً .

وكانت الشمس وتحريكه اصابع يده اليسرى تحريكاً موصولاً قد أذهبا عنها التشنج نهائياً . وهكذا صار في

ميسوره لأن يعهد اليها في نصيب من العمل أكبر . ثم انه رفع عضـــلات ظهره ليزيح الوِزر الذي أنقضه ، بعض الشيء .

وقال في صوت عالٍ :

« اذا كنتِ لمّا تتعبي بعدُ ، أيتها السمكة ، فلا بدّ ان تكوني عجيبة جداً ! »

وكان هو قد استشعر انه متعب كثيراً . وكان يعلم ان الليل قد أمسى قريباً ، فحاوِل ان يفكر في اشياء اخرى . لقد فكر في مباريات البيسبول الكبرى ، وفي المباراة الجارية بين يانكيي نيويورك وأنمار ديترويت .

وقال في ذات نفسه : ها قد انقضى يوم ثان لم اعرف فيه نتائج اللعب . ولكن يجب ان اكون قويّ الايمان ، وان أكون جديراً بـ « دي ماغيو » العظيم الذي يعمل كل شيء على الوجه الأكمل برغم الألم الذي يورثــه اياه نتوء العظم في عقبه . وسأل نفسه : ولكن مــا بروز العظم ؟ نحـــن لم نصَب به . أممكن ان يكون مؤلماً كدخول شوكة ديك في عقب امرىء من الناس ؟ أنا لا اظن ان في طاقتي ان أُصاب بذلك او بفقدان احـــدى عينيّ او كلتيهما ثم اواصل القتال كما تفعل الديكة المحاربة . ان الرجل ليس شيئاً كبـــيراً اذا قيس بالطيور الضخمة والحيوانات المفترسة . ومع ذلك فلو كان لي ان اختـار لما اخترت ان اكون غير هذا السيف السابح هنـــاك في

اعماق البحر المظلمة .

وقال في صوت مرتفع :

« إلا اذا اقبلت الاقراش . لأنه اذا اقبلت الاقراش فعندئذ يرحمه ويرحمني الله ! »

وفكّر : هل تحسب ان دي ماغيو العظيم يستطيع ان يمكث مع احدى السمكات الكبار طوال المدة التي سأمكثها مع هذا السيف ؟ أنا واثق من انه خليق بأن يمكث هذه المدة كلها وزيادة ما دام نضر العود ، قوياً . والى ذلك ، فقد كان أبوه صياداً . ولكن هل سيؤلمه نتوء العظم في عقبه كثيراً ؟

وقال في صوت مرتفع :

« لست أدري . انا لم أُصب بنتوء العظم قط . »

وفيما الشمس تجنح الى الغروب تذكّر ، لكي يعزز ثقته بنفسه ، يوم لعب في احدى حانات الدار البيضاء لعبة « اليد الحديدية » مع زنجي عظيم من « سيانفوغوس » كان اقوى رجال المرفأ وأشدهم بأساً . وكانا قد ملخا يوماً وليلة ومرفقاهما فوق خط رُسم بالطباشير على الطاولة ، وساعداهما منتصبان ، ويداهما مشتبكتان في إحكام . وكان كل منهما يبذل غاية جهده لكي يلوي يد الآخر ويُكرهها على ان تمسّ الطاولة . وراجت سوق المراهنة ، وطفق الناس يدخلون الغرفة ويغادرونها على ضوء مصابيح الكيروسين ، وكان هو قد رنا الى ذراع الزنجي ، ويده ،

ووجهه . وتناوب المحكّمون على مراقبتهما ، مرة كل
اربع ساعات ، بعد الساعات الثماني الاولى ، لكي يكون
في ميسورهم ان ينالوا حظهم من النوم . وتفجّر الدم من
تحت اظافر يده وأظافر يده الزنجي ، ونظر كل منهما في
عيني الآخر ، والى يديه وساعديه . وتدفق المتراهنون
الى الغرفة ، غادين رائحين ، وقعدوا على كراسي عالية ،
مستندة الى الجدران ، وانشأوا يراقبون اللعبة . وكانت
الجدران مدهونة بلون ازرق زاهٍ ، وكانت خشبية ،
وكانت المصابيح تلقي ظلالها عليها . كان ظل الزنجي هائلاً ،
وكان يتمايل على الجدار كلما عبثت النسائم بضوء المصابيح .

وطوال الليل ، تأرجح النصر ذات اليمين وذات الشمال .
وقدّم القوم شيئاً من خمر « الروم » الى الزنجي ، واشعلوا له
السجاير . ثم إن الزنجي أفرغ بعد تناوله الشراب ، جهداً
هائلًا فوفّق مرةً الى ان يلوي يد الشيخ — الذي لم
يكن شيخاً آنذاك ، ولكنْ سانتياغو البطل *El Campeon*
— نحواً من ثلاثة إنشات . بيد ان الشيخ ما لبث أن
اعاد يده الى الارتفاع عينه تماماً . وفي تلك اللحظة عمرت
الثقة فؤاده ، بأنه لا بد غالبٌ الزنجيَّ . وعند بزوغ
الفجر ، ساعةَ اصرّ المتراهنون على ان يُعتبر الفريقان
متساويين ، وهز المحكمون رؤوسهم ، افرغ الشيخ كامل
قواه ، فجأة ، واكره يد الزنجي على ان تنثني شيئاً بعد
شيء حتى مسّت الخشب آخر الامر . لقد استُهلت المباراة

صباح يوم من ايام الاحد ، ثم لم تنته إلا صباح يوم الاثنين . وكان كثير من المتراهنين قد طالبوا بأعلان التكافؤ لاضطرارهم الى الذهاب الى المرفأ حيث ينقلون اكياس السكر أو الى « شركة الفحم الحجري الهافانية » . ولولا ذلك لكان كل امريء منهم خليقاً بأن يؤثر استمرار المباراة حتى النهاية . ولكنه أنهاها ، على أية حال ، وقبل ان يمضي أحد من الجماعة الى عمله .

وطوال فترة غير يسيرة تقضّت على هذا الحادث خلع القوم عليه لقب « البطل » . وفي الربيع أُجريت مباراة الاخذ بالثأر . ولكن سوق المراهنة لم تَرُج ، وكسب الشيخ الجولة في كثير من اليسر بعد ان وُفق الى تحطيم معنوية الزنجي في المباراة الاولى . ومن ذلك الحين خاض بضع مباريات ، ثم كف عن ذلك مرة واحدة . لقد قرر أن في وسعه ان يهزم ايّ امريء هزيمة شنعاء لو شاء ، ولكن ذلك خليق به أن يؤذي يده اليمنى ويضعف من فعاليتها في الصيد . ولقد حاول ان يخوض بضع مباريات تدريبية بيده اليسرى . ولكن يده اليسرى كانت خؤوناً أبداً . كانت تأبى الأذعان لأوامره ، وما كان ليثق بها بحال .

وفكّر قائلًا : سوف تحمّصها الشمس جيداً ، الآن . وينبغي ان لا يعاودها التشنج كرة أخرى ، الا اذا أمسى الجوّ قارساً جداً اثناء الليل . ألا ليت شعري ،

ما الذي ستحمله اليّ هذه الليلة ؟

ومرت فوق رأسه احدى الطـــائرات ، وكانت في طريقها إلى ميامي . واوقع ظلها الذعرَ في قلوب السمكات الطائرة .

وقال :

« لا بد ان تكون ثمة دلافين مع هـــذه السمكات الطائرة كلها . وجذب الخيطَ قليلاً ليرى ما اذا كان يستطيع ان يكسب مقداراً منه . ولكنـه لم يوفق الى ذلك ، فكفّ عن محاولته عنـــدما ادرك ، من قسوة الخيط وذبذباته ، انه على وشك ان ينقطـــع . وتقدم القارب على مهل . وراقب الشيخ الطـــائرة حتى غابت عن البصر .

وبينه وبين نفسه قال : يجب ان يكون امتطاء الطائرة شيئاً غريباً جداً . ويا ليت شعري كيف يبدو البحر من ذلك العلوّ الشاهق ؟ لا ريب في انهم يستطيعون ان يروا الاسماك جيداً اذا لم يحلّقوا كثيراً في السماء . ولكم أحب لو أطير ، في تؤدة ، على ارتفاع مئتي قامة وأرى الاسماك من علٍ . ففي زوارق صيـــد السلاحف كنت أقف فوق عوارض السارية ؛ وحتى عـلى ذلك الارتفـاع كان في مكنتي أن أرى كثيراً . لقد بدت الدلافـــين من هنـــاك أشدّ خضرةً ، وكان في مستطاعك ان ترى الجمهرة كلها وهي تسبح . لمَ كانت لجميع أسماك التيار المظلم

الخفيفة الحركة ظهورٌ ارجوانية ؟ ولمَ كانت لها في معظم الاحوال خطوط أو نُقط أرجوانية ؟ إن الدلفين يبدو أخضر لأنه ذهبيّ من غير شك . ولكن ما إن يلتمس طعامه بعد ان يستبدّ به الجوع حتى تبرز الخطوط الارجوانية على جنباته مثل أسياف البحر . تُرى ، ما الذي يُطلع هذه الخطوط ؟ الغضب أم السرعة البالغة ؟

وقبيل هبوط الليل ، فيما كانا يجوزان جزيرة كبيرة من عشب سارغاس المرتفع المتموج وكأن الاوقيانوس كان يغازل شيئاً ما تحت غطاء أصفر ، ابتلع احد الدلافين شصّ خيطه الخلفيّ القصير . ولقد رآه ، أول ما رآه ، حين وثب في الهواء . كان لونه ذهبياً حقاً ، تحت اشعة الشمس المُحْتَضَرَة ، وكان ينحني ويخبط بذنبه خبطاً ضارياً . ووثب مرةً ومرة في بهلوانية ذعرهِ . وجثم الشيخ ، ممسكاً بالحبل الكبير بيده اليمنى وذراعه ، وارتدّ إلى مؤخر القارب . وبيده اليسرى جذب الدلفين واطئاً ما يكسبه من الخيط بقدمه الحافية . حتى اذا انتهت السمكة الى مؤخر القارب مذعورةً واثبةً متخبطةً في يأس ، انحنى الرجل العجوز ورفع السمكة الذهبية الصقيلة ، بنقطها الارجوانية ، الى ما فوق مؤخر القارب . كانت تفتح فمها وتغلقه ، في تشنج ، على الشصّ . وكان جسدها الطويل المسطّح يضرب ألواح القارب في حنق وعنف . ثم ان الشيخ اهوى بالمراوة على رأسها الذهبي المتوهج ، فارتعدت ثم سكنت سكون الموت .

وانتزع الشيخ الشص من فم السمكة ، وطعّم الخيط بسمكة سردين جديدة ، والقى به في اليم . ثم اتخذ سبيله ، وئيداً وئيداً ، الى مقدّم القارب . وغسل يده اليسرى ومسحها ببعض بنطلونه . ثم نقل الحبل الثقيل من يده اليمنى الى يده اليسرى ، وغسل يده اليمنى في البحر ، فيما كان يراقب الشمس تغيب في الاوقيانوس ، وينظر الى انحراف الحبل الكبير .

وقال :

« إنها لم تتغير على الاطلاق . »

ولكنه حين استشعر جريان الماء عبر يده ادرك ان حركة القارب قد تباطأت على نحو ملحوظ .

وقال :

« تحدثني نفسي بأن أثبّت المجذافين معاً عبر مؤخر القارب ، وبذلك أخفف من سرعة السمكة اثناء الليل . انها مستعدة لقضاء سهرة طويلة . وكذلك انا . »

وفكّر : من الخير ان أنتزع إحشاء الدلفين بعد قليل لكي يُحفظ الدم في لحمه . سوف أنتزعها عما قليل ، حين اثبّت المجذافين معاً تعويقاً للحركة . ويخيل إليّ انه من الافضل ان أدع السمكة وشأنها الآن فلا ازعجها كثيراً في ساعة الغروب هذه . ان ساعة الغروب توهن عزائم السمكات جميعاً .

وترك يده تجفّ في الهواء ، ثم تلقّف الحبل بها ،

وأراح جسده المكدود ما وسعه ذلك ، منحنياً على الخشب . وهكذا حمّل القاربَ مثل ما يحمله هو من ثقل الحبل المشدود ، أو اكثر .

وقال في ذات نفسه : لقد بدأتُ أتقن الصناعة — أو هذا الجزء منها على أية حال . ويجب ان لا أنسى ، فوق ذلك ، أنها لم تأكل شيئاً منذ ان وقعت في الشرك ، وانها ضخمة جداً ، ومحتاجة الى مقدار كبير من الغذاء . أمــا انا فقد اكلتُ التنّ بكامله . وغداً سوف آكل الدلفين . ولعله يتعيّن عليّ أن آكل جزءاً منه وانا أنتزع أمعاءه وأنظفه . ولسوف يكون مضغه أصعب من مضغ لحم التنّ . ولكن ليس ثمة ما هو يسير ، الآن .

وسألها في صوت عالٍ :

« كيف أنتِ ، ايتها السمكة ؟ أنا أستشعر النشاط . ويدي اليسرى أحسن من ذي قبل . وعندي من الطعام ما يكفيني هذه الليلة ونهار غد . إسحبي القارب ، ايتها السمكة ، إسحبي ! »

وفي الحقّ أنه لم يكن في حال حسنة كما زعم ، لأن الألم الذي أنزله الخيط الغليظ بظهره كاد يتعدّى تخــوم الألم لينتهي الى خَدَرٍ كان موضع ارتيابه . وقـال في ذات نفسه : ولكني عانيتُ ما هو اسوأ من هذا . إن يدي اليمنى مجروحة جرحاً بسيطاً ، ولقد تحرّزت يدي الاخرى من التشنج . أما رجلاي فلم يصبها اذىً مـا .

وفوق هذا كله ، فقد تمّ لي التفوق على السمكة ـ بعد ما ادخرُتهُ من غذاء في ميدان التجلد والاحتمال .

وجلببَ الظلام الكون . ففي ايلول يهبط الليل بعد غروب الشمس مباشرة . واستند الشيخ الى القيدوم البالي ، واستراح ما وسعه ان يستريح . وبرزت طلائع النجوم . ولم يكن يعرف اسم « رِجل الجبار » * ولكنه رآه ، وادرك أن جميع أصدقائه الأبعدين سوف ينتثرون وشيكاً في أجواز السماء .

وقال في صوت عال :

« والسمكة صديقتي أيضاً . أنا لم أر ولم اسمع بسمكة مثل هذه من قبل . ولكني مضطر الى أن اقتلها . كم انا سعيد لعدم اضطرارنا الى ان نقتل النجوم ! »

وبينه وبين نفسه قال : تخيّلْ لو كان على الانسان ان ينطلق كل يوم لقتال القمر ! لا شك في ان القمر خليق في هذه الحال بأن يطلق ساقيه للريح . ولكنْ تخيّل لو تعيّن على الانسان ان ينطلق كل يوم لقتال الشمس ? وفكّرَ : نحن مخلوقات محظوظة ، من غير ريب .

ثم أخذه الحزن على السمكة الكبيرة حين خطر له أنْ ليس عندها ما تأكله . ولكن تصميمه على قتلها لم يضعف

---

* *Rigel* أو *Beta Orionis* نجم ضارب الى الزرقة في برج أوريون (أو الجبار) . [المعرب]

نتيجة لحزنه ذاك على الاطلاق . وفكّر : كم رجلاً سوف يغتذي من لحمها ؟ ولكنْ هل هم جديرون بأن يأكلوا لحمها ؟ لا ، طبعاً لا . ليس ثمة من هو جدير بأن يأكل هذه السمكة بعد الذي تكشّفت عنه من شجاعة وجلال .

وقال في ذات نفسه : أنا لا أفهم هذه الاشياء . ولكن من حسن الطالع أننا غير مضطرين الى ان نطارد الشمس أو القمر او النجوم . حَسْبنا أن نعيش على البحر وان نطارد إخوتنا الحقيقيين .

وفكّر : والآن يتعيّن عليّ أن انظر في مسألة تعويق حركة القارب . إن لها مخاطرها وحسناتها . ذلك اني اذا ثبّتُّ المجذافين فقد اخسر جزءاً كبيراً من الخيط الى درجة تعرّض السمكة للضياع ، اذا ما خطر لها أن تُفرغ قوتها كلها في الجذب وفقدَ القارب خفته . صحيح ان خفة القارب تُطيل آلامي وآلامها ، ولكنها مناط سلامتي لأن السمكة لمّا تنطلقْ بعدُ بأقصى سرعتها . وأياً ما كان فينبغي أن أنتزع احشاء الدلفين حتى لا يفسد ، وأن آكل شيئاً منه لكي أظلّ قوياً .

والآن سأستريح ساعةً اخرى ثم أتأكد من ان السمكة هادئة مطردة الخطى ، قبل ان أنقلب الى مؤخر القارب لأقوم بعملي وأحزم امري . وفي اثناء ذلك يكون في استطاعتي ان اراقب مسلكها وما قد يطرأ عليها من

تطورات . إن فكرة المجذافين هذه بارعة . ولكنا انتهينا الآن الى مرحلة تقتضي كثيراً من الانتباه والحذر ! فهذا السَّيف لا يزال سمكةً سوية لها ما لسائر الاسماك الكبيرة من قوة وجبروت . ولقد رأيت الشصّ في زاوية فمه وقد اطبق فمه إطباقاً محكماً . ولكن بلاء الشصّ ليس شيئاً . البلاء الحقيقي هو الجوع ، وكونه يقاتل ضد شيء لا يفهمه . فاسترح الآن ، ايها الرجل العجوز ، ودعه يعمل حتى يحين دورك في العمل .

واستراح ساعتين — أو ذلك ما بدا له . واذ لم يطلع القمر إلا في ساعة متأخرة فقد عدم الوسيلة لمعرفة الوقت. ثم إن الراحة التي نعمَ بها لم تكن في الواقع غير راحة نسبية . كان لا يزال يحمل ثقل السمكة على منكبيه ، ولكنه وضع يده اليسرى على حافة القيدوم ، مسنداً الى القارب نفسه جزءاً متعاظماً من مهمة المقاومة .

وفكر : كم كان الامر خليقاً بأن يكون أسهل لو استطعت ان اشد الخيط الى شيء ما . ولكن السمكة قمينة ، عندئذ ، بأن تقطعه بنترة صغيرة واحدة . يجب أن أتخذ من جسدي وسادة تخفف من وطأة الضغط ، وان اكون مستعداً ، في كل لحظة ، لأن أرخي الخيط للسمكة ، بيديّ الاثنتين .

وقال في صوت مرتفع :

« ولكنك لم تنم بعد ، ايها الرجل العجوز . لقد سلخت

نصف نهار وليلةً بكاملها وها انت تضيف الى ذلك نهاراً جديداً وعيناك لم تعرفا الغمض لحظةً واحدة ! يجب ان تستنبط وسيلة تمكنك من ان تنام بعض الشيء اذا ظلّ السيف يجرّك مثل هذا الجرّ الهادئ . لأنك إن لم تنم فقد يزايل الصفاء رأسك . »

وفكّر : إن رأسي صافٍ . بل إنه صافٍ اكثر مما ينبغي . أنا في مثل صفاء النجوم التي هي إخوتي . ومع ذلك فيجب أن أنام . إن النجوم تنام . والقمر والشمس ينامان . وحتى المحيط ينام احياناً في بعض الايام التي لا تيار فيها والتي يرين فيها الهدوء على وجه الماء .

وقال في ذات نفسه : ولكن لا تنسَ ان عليك ان تنام . أجبرْ نفسك على ذلك وابتدعْ وسيلة صغيرة مضمونة تقي الخيوط شرّ المفاجآت . والآن ، إرتدّ الى الوراء وأعدّ الدلفين . إنه ليس من الحكمة ان تثبّت القارب بالمجذافين اذا كنتَ مضطراً الى الرقاد .

وخاطب نفسه قائلاً : في استطاعتي أن استغني عن النوم . ولكن ذلك صنيعٌ بالغ الخطورة .

وشرع ينكفيء الى مؤخر القارب على يديه وركبتيه ، محاذراً ان يجذب الخيط بأي حال . وقال بينه وبين نفسه : جائز ان يكون هذا السيف هو نفسه نصف نائم . ولكن هذا ليس من شأني . انا أريد ان يحلّ التعب بساحته . يجب ان يجذب الخيط حتى يموت !

واذ انتهى الى مؤخر القارب ، استدار ممسكاً الحبل بيده اليسرى ، على حين استلّ مديته من غمدها بيـــده اليمنى . كانت النجوم متألقة ، وكان في ميسوره ان يرى الدلفين في وضوح . وغيّب شفرة المدية في رأسه وجذبه نحوه . ثم انه وضع احدى قدميه على الدلفين ، وشقه في خفة من ادنى بطنه الى اعلى فكـــه الأسفل . ثم وضع مديته جانباً وراح ينتزع أحشاء الدلفين بيـــده اليمنى ، مُفرغاً جوفه وخياشيمه . وكان الكرش ثقيلاً زلقاً بين يديه . وفتحهُ فاذا فيه سمكتان طائرتان . كانتا طازجتين مكتنزتين . فوضع احداهما الى جانب الاخرى وقـــذف بالنفاية في الماء ، فغاصت مخلفـــة وراءها خطاً فوسفوري التوهج . وكان الدلفـــين بارداً . وإذ انطرح هنـاك ، تحت اشعة النجوم ، فقد بدا الآن أجذم شديد الشحوب . وسلخ الشيخ الجلد عن جانب مـــن الدلفين واطئاً رأسه بقدمه اليمنى . ثم قلبَه وسلخ الجلد عن الجانب الآخر . وانتزع لحمه مَن الرأس حتى الذنب .

ثم انه طرح الهيكل في عرض البحر ، ونظر ليرى ما اذا كان ثمة دراديرٌ في الماء . بيد انه لم يجد شيئاً غير انحدار متباطىء مضيء . فاستدار ووضع السمكتين الطائرتين في داخل قدّتي اللحم اللتين سلخهما من الدلفين ، وأغمد مديته واتخذ سبيله في بطء الى مقدّم القارب . كان ظهـــره محدودباً تحت ثقل الخيط ، وكان يحمل لحم الدلفين بيده

اليمنى .

وحين بلغ مقدّم القارب نشر قدتي اللحم على الخشب ، ووضع السمكتين الطائرتين الى جانبهما ، ثم ركز الحبل فوق ناحية اخرى من كتفيه ، ممسكاً به باليد اليسرى ، مستنداً الى حافة القارب . وبعد ذلك انحنى ليغسل السمكتين الطائرتين بالماء ، وليقدّر سرعة المياه وهي تندفع عبر يده . وكانت يده تتألق بضياء فوسفوري بسبب من انتزاعه جلد الدلفين بها ، فراح يراقب تدفق الماء حواليها .

كان البحر اكثر هدوءاً . وحين حكّ راحةَ يده بألواح القارب تناثرت منها ذرات من الفوسفور وارتدّت في تؤدة نحو مؤخر الزورق .

وقال الرجل العجوز :

« هي إما مُتعبة أو مُخلدة الى السكينة . والآن دعني أمضي في التهام هذا الدلفين ، وأنعم بشيء من الراحة وقليل من النوم . »

وتحت النجوم ، وفي غمرة من الليل الآخذ بردُهُ في الاشتداد شيئاً بعد شيء ، أكل نصف قدّة من لحم الدلفين واحدى السمكتين الطائرتين بعد أن اطّرح احشاءَها واقتطع رأسها .

وقال :

« ما أشهى الدلفين حين يُؤكل مطبوخاً ! وما أتعسه

من سمكة حين يكون نيئا ! أنا لن انطلق في قارب ، بعد اليوم ، من غير ان اصطحب شيئاً من الملح أو الليمون الحامض . »

وقال في ذات نفسه : لو كان في رأسي دماغ لسفحت الماء ، طول النهار ، على مقدّم القارب . حتى اذا جفّ كان في ميسوري ان أفوز بشيء من الملح . ولكني ما كنتُ خليقاً ، في مثل هذه الحال ، بأن أوقع الدلفين في الشرك إلا مع غروب الشمس . ومهما يكن ، فلا ريب في أن ذلك دليل على إهمالي . ولكني مضغت اللحم كله جيداً ولم استشعر شيئاً من الغثيان .

وتلبدت السحب في ناحية المشرق ، حاجبةً النجوم التي يعرفها الشيخ واحداً إثر واحد . لقد بدا وكأنه يمضي في وادٍ من الغيوم سحيق . وسكنت الريح .

وقال الشيخ :

« سوف تسوء الاحوال الجوية بعد ثلاثة ايام او اربعة . ولكنْ ليس الليلة ولا غداً . فما عليك ، ايها الرجل العجوز ، الا أن تستعد لشيء من الرقاد ما دامت السمكة هادئة مطّردة السير . »

وأطبق يده اليمنى على الخيط إطباقاً محكماً . وضغط بفخذه على تلك اليد ، فيما كان ينحني بثقله كله على خشب القيدوم . ثم خفض الحبل فوق كتفيه خفضاً جزئياً وأوثقه تحت يده اليسرى .

وفكر قائلًا : في استطاعة يدي اليمنى ان تقاوم في بسالة ما دام الخيط موثقاً على هذا النحو . ولو قد تراخت اثناء النوم فعندئذ توقظني يدي اليسرى حالما يولي الخيط فراراً . ولا ريب في ان هذا العبء سوف يكون ثقيلًا على يدي اليمنى . ولكن ، لا بأس ، فقد شهدت في أيامها ضروباً من البلاء . وحتى لو نمت نصف ساعة أو عشرين دقيقة إذن لأفادني ذلك بعض الشيء . وانحنى الى امام لكي يقاوم بجسده كله ثِقل الخيط . وإذْ تركزت قوته برمتها في يده اليمنى استسلم للرقاد .

ولم يرَ الاُسود في ما يراه النائم هذه المرة . لقد رأى رتلًا ضخماً من خنازير البحر يبلغ طوله ثمانية اميال او عشرة . وكان ذلك في موسم التناسل ، فهي تثب عالياً في الهواء ثم ترتدّ الى الحُفر نفسها التي احدثتها في الماء عند انطلاقها منه .

ثم رأى في المنام انه مضطجع في فراشه في القرية . وهبّت ريحٌ شمالية ، وعصف به البرد القارس . وكانت ذراعه اليمنى نائمة ، لان رأسه استقرّ فوقها بدلاً من ان يستقر فوق وسادة ما .

وبعد ذلك أنشأ يحلم بالشاطيء الاصفر الطويل ، فرأى طليعة الأُسود يهبط نحو البحر في غُبشة الغسق ، يتبعه سائرها على الاثر . واراح الشيخ ذقنه على خشب القيدوم وطفق يتأمل . لقد اقامت سفينته توازنها بأن ألقت

مراسيها . وهبت نسائم المساء من الشاطيء . تُرى ، هل ستفقد اسودُ اخرى ؟ وغمرت الشيخَ السعادة .

وكان القمر قد طلع منذ فترة غير قصيرة ، ولكن الشيخ استرسل في رقاده . وواصلت السمكة جذبها في اطراد ، وشقّ الزورق طريقه في نفقٍ من الغيوم .

وفجأةً انتفضت يده اليمنى فلطمت وجهه . كان الحبل قد ألهب يده اليمنى إلهاباً ، وكانت يده اليسرى خدرةً لا حسّ فيها . وكبح الخيطَ بيده اليمنى ، أقصى ما يستطيع الكبح ، ولكنّ الخيط اندفع هارباً . واخيراً عثرت يده اليسرى على الخيط ، وارتدّ إلى الوراء ضاغطاً على الخيط بظهره ، فاذا بالخيط يحرق ظهره ويده اليسرى ، واذا بيده اليسرى تنهض الآن بالعبء كله فيحتزّها الحبل ويدميها . والتفت الشيخ ليلقي نظرة على لفائف الخيوط ، فألفاها تكرّ على رِسلها . وفي تلك اللحظة وثب السيف محدثاً انفجاراً هائلاً في مياه المحيط ثم هوى في ثِقل . وما هي الا فترة حتى عاود الوثوب مرةً ومرةً ، وانطلق الزورق في سرعة برغم طول الحبل المرخى له ، وبرغم ان الشيخ انشأ يجذب الخيط ويجذبه في ضراوة ، حتى نقطة الانقصاف . وكان من نتائج هذا الصراع ان طُرح الشيخ فوق مقدّم القارب ، وارتطم انفه بلحم الدلفين ، فبات لا يطيق حراكاً .

وفكر قائلاً : ذلك ما كنا ننتظره . واذن فلا محلّ

للشكوى .

وبينه وبين نفسه قال : إحملْهُ على دفع ثمن هـــذه الخيوط كلها . إحمله على دفع ثمنها ! »

ولم يكن في ميسوره ان يرى السمكـة وهي تثب . بيد انه كان يسمع تفجّـر المحيط عند انطلاقها وطشيش الماء عند سقوطها . وكان الخيط يكرّ في سرعـة فيحتز يديه ويلهبهما ، ولكنه ما كان يتوقع شيئاً غير ذلك . وحاول ان يصطنع الاجزاء الصفيقة من يـديه ، محاذراً ان يمسّ الخيط باطن كفيه او ينزلق بين اصابعه .

وقال في ذات نفسه : لو كان الغلام هنـا اذن لبـلّ الخيوط . أجل ، لو كان الغلام هنا ! لو كان الغلام هنا !

وكرّ الخيطُ ، وكرّ ، وكرّ ، ولكنه شرع يتباطأ الآن . وأكره الشيخ السمكة على ان تدفع غالياً ثمـن كل انش منه . ورفع رأسه عن مقدّم القارب ، وأزال عن وجهه لحم الدلفـين الذي سحقه خده ، ثم نهض عـــلى ركبتيه واستوى قائماً في اناة . كان يرخي الخيط على نحو موصول ولكنه آخذ في التباطؤ شيئاً بعد شيء . وانكفأ الى حيث يستطيـع ان يلمس بقدميه لفائف الخيوط التي عجز عـــن رؤيتها . كان لا يزال ثمة مقدار وافر مـــن الخيوط ، وكان على السمكة الآن ان تحتمل ثقـل هـــذه الحبال الاضافية .

وقال في ذات نفسه : أجل . لقد وثب السيف اكثر

من اثنتي عشرة مرة ، حتى الآن ، وملأ الجيوب المرصوفة على طول ظهره بالهواء ، فليس في استطاعته أن يغوص ليموت في اعماق البحر حيث أعجزُ عن إخراجه . إنه سوف يبدأ وشيكاً في التحويم ، وعندئذ يجيء دوري في سوقه الى المكان الذي اشاء . تُرى ما الذي أثاره على هذا النحو الفجائي ؟ أيكون الجوع قد اوقع اليأس في فؤاده ، أم لعل شيئاً ما قد روّعه في الظلام ؟ ومن يدري ، لعلّ الخوف ساوره فُجاءة . ولكنه كان من قبل هادئاً مكيناً ، ولقد بدا بالغ الجراءة عظيم الثقة بالنفس . ذلك امر عجيب .

وقال :

« من الخير ان تكون انت ، ايها الرجل العجوز ، جريئاً واثقاً من نفسك . لقد امسكت بزمامه من جديد ولكنك لا تستطيع ان تسترد ما فقدته من خيوط . وعلى اية حال ، فلا ريب في انه سوف يحوّم عمّا قليل . »

واخذ الشيخ بقياد السمكة ، بكلٍ من يده اليسرى ومنكبيه . ثم انحنى وغرف شيئاً من الماء بيده اليمنى لكي يزيل لحم الدلفين المسحوق عن وجهه . لقد كان يخشى أن تصيبه رائحة ذلك اللحم بالغثيان ، وعندئذ يقيء ويفقد قوته . حتى اذا نظف وجهه وضع يده في الماء المالح ، وتركها هناك برهة ، وانشأ يراقب طلائع الضوء الوافدة بين يدي الشروق . وفكر قائلًا : إنه يتجه الآن نحو الشرق تقريباً . وهذا يعني أنه متعبٌ وانه

يجري مع التيار . ولن ينقضي طويـل وقت حتى يشرع في الدوران . وعندئذ يبدأ عملنا الحقيقي !

وبعد أن قدّر ان يده اليمنى لبثت في الماء مـــدةً كافية اخرجها ونظر اليها .

وقال :

« إنها في حالٍ لا بأس بها . وليس الألم مما يبالي به الرجال . »

وأمسك بالخيط فى احتراس كي لا يـنزلق في اي من جراحاته الجديدة ، وأزاح حمله بحيث يتمكن من ان يضع يده اليسرى في الماء ، من جانب القارب الآخر .

وقال مخاطباً يده اليسرى :

« انت لم تحتملي هذا البلاء كله من اجل شيء لا غناء فيه . ولكنْ لقد غبرتْ لحظةٌ تفقّدتك فيها فلم أجدك ! »

وفكر : لمَ لمْ أُولد بيدين قويتين ؟ لعل الذنب ذنبي لاني لم امرّن تلك اليد الواهنة تمريناً كافياً . ولكن الله يشهد ان مجالات التعلّم كانت رحبةً امامها . وعـلى اية حال ، فلقد أبلت بلاء حسناً ، هذه الليلة . وهي لم يصبهـا التشنج إلا مرةً واحدة . واذا مـا تشنجت مرة اخرى فلسوف ادع الخيط يحتزها من غير ان أبدي حراكاً .

وحين خطر له ذلك أدرك أنه لم يعد صافيَ الرأس ، وأنّ عليه ان يمضغ مزيداً من لحم الدلفين . ولكني لا أستطيع ـ كذلك قال في ذات نفسه . فلأن تستشعر

وكأن الدوار يعصف برأسك خير من أن تنفد قوّتك بالغثيان . وأنا ادري اني لن اقدر على ابتلاع هذا اللحم بعد أن امتزج به وجهي . من اجل ذلك سأحتفظ به للطوارىء ، حتى يصيبه الفساد . ولكن لقد فاتني القطار الآن ، فانا لا استطيع ان اعوّض قواي من طريق الطعام . انت احمق – كذلك قال بينه وبين نفسه . كل السمكة الطائرة الاخرى .

كانت هناك منظفةً جاهزة . فتناولها بيده اليسرى واكلها ماضغاً العظم في احتراس ، ملتهماً كل ما فيها ، من الرأس إلى الذنب .

وفكّر : إنها احفل بالغذاء من سائر الاسماك تقريباً . الغذاء الذي أحتاج اليه انا ، على الاقل . والآن ، لقد عملتُ الذي استطيعه . فليبدأ في دورانه ، ولنفتتح المعركة !

واشرقت الشمس على الشيخ وعلى قاربه للمرة الثالثة عندما اخذ السَّيف في التحويم .

ولم يستطع ان يستدلّ من انحراف الخيط ان السمكة تحوّم . فقد كان مثل ذلك الاستدلال سابقاً لاوانه في تلك اللحظة . كل ما أحس به تراخٍ طفيف في ضغط الخيط ، فأنشأ يجذبه في رفق بيده اليمنى . وتوتر الخيط ، كعهده من قبل ، ولكنه ما إن كاد يبلغ نقطة الانقصاف حتى غدا سلساً سهل القياد . وأزلّ الشيخ الحبلَ فوق كتفيه ورأسه ، وطفق يشده في تؤدة واطراد . كان يصطنع كلتا

يديه ، في حركة متأرجحة ذات اليمين وذات الشمال ، محاولاً ان يحمّل جسده وقدميه اكبر قسط ممكن من مهمة الجذب . واتبعت رجلاه الهرمتان وكتفاه الباليتان حركة يديه المتأرجحة .

وقال :

« إنها دورة ضخمة جداً . ولكنه يدور . »

وهنا ابى الخيط ان ينقاد ، فأطبق الشيخ يده عليه في إحكام حتى لقد رأى قطرات الماء تتواثب منه تحت أشعة الشمس . ثم اخذ الخيط يكرّ ، فركع الشيخ آسفاً ، وتركه يغوص في المياه المظلمة .

وقال :

« هو ذا في اوج دورانه الان . »

ثم فكر : ينبغي ان اتشبث بالخيط ما استطعت . فلا ريب في ان الاجهاد سوف يضيّق نطاق دورانه مرة بعد مرة . ولعلي ان اوفّق بعد ساعة الى رؤيته . يجب ان انتصر عليه الان ، وبعد ذلك يتعين عليّ ان اقتله .

ولكن السمكة اقامت على التحويم ، في اناة . وبعد ساعتين تندّى جسد الشيخ كله بالعرق ، ونفذ الاعياء الى عظامه . ولكن دورات السمكة تقاصرت تقاصراً كبيراً ، ومن كيفية مَيَلان الخيط ادركَ الشيخ انها ترتفع باطّراد فيما هي تسبح .

وطوال ساعة ، تراقصت البقع السود امام ناظري الشيخ . واحرق العرق المالح عينيه واحرق الجرحَ الذي

فوق عينه وعلى جبهته . ولم يجزع للبقع السود . فقد كانت ظاهرة سوية اذا نُظر اليها على ضوء الجهد العظيم الذي انفقه في جذب الخيط . وايـــاً ما كان ، فقد استشعر مرتين دُواراً ووشك إغماء ، وذلك ما اقلقه حقاً .

وقال :

« لم يكن في وسعي ان أخذل نفسي وأموت وأنا اصطاد سمكة مثل هذه . اما وقد وُفقت الى ان اقودها على هذا النحو البارع فساعدني ، يا إلــهي ، وأمــدّني بالقوة على الاحتمال . إني اعدُ بأن اتلو صلاتـَيْ « ابانا » و « السلام عليك يا مريم » مئة مرة . ولكني لا استطيع ان افعل ذلك الآن ! »

وفكر : إعتبرْ إنها تليت . سوف اتلوها في ما بعد !

وفجأة انتفض الخيط ، وكان يمسك به بيديه الاثنتين ، انتفاضة هائلة — انتفاضةً حادة ، قاسية ثقيلة .

وفكر الشيخ : إن السمكة تطعن قاعـــدة الصنارة برمحها . لقد كان ذلك امراً محتوماً . فليس في وسعها ان تفعل غير ذلك . وقـد يضطرها هـذا الى الوثوب . ولو كان لي ان اختار ، اذن لآثرتُ لو واصلتْ دورانها . إنها مكرهة على الوثوب لكي تتنشق الهواء . ولكن كل وثبة من وثباتها خليقة بأن توسّع الجرح الذى احدثـــه الشص في فكها . وقد ينتهي ذلك بها الى اطراح الشص والنجاة بنفسها .

وقال :

« لا تثبي ، ايتها السمكة ، لا تثبي ! »

وطعنت السمكة المعدن عدة مرات اخرى . وكان الشيخ يُرخي الحبل للسمكة كلما هزت رأسها .

وقال في ذات نفسه : يجب ان أوقف ألمها حيث هو . اما ألمي انا فلست ابالي به . في استطاعتي ان اسيطر على اوجاعي . اما اوجاعها ، فقد تفقدها صوابها .

وبعد برهة كفت السمكة عن ضرب معدن الصنارة ، واستأنفت الطواف ، في تؤدة . وراح الشيخ يسترجع الخيط على نحو موصول . ولكنه استشعر انه على وشك الاغماء ، كرة اخرى . ورفع شيئاً من ماء البحر بيده اليسرى ونضح به رأسه ، ثم رفع مقداراً آخر ونضح رأسه كرة ثانية وفرك مؤخر عنقه .

وقال :

« لست أشكو التشنج . سوف ترتفع السمكة عما قليل ، وفي استطاعتي أن أثبت . إن من واجبك ان تثبت . فلا تتحدث عن ذلك ولو مجرد حديث . »

وانحنى مستنداً الى مقدم الزورق ، وأزلّ الخيط فوق ظهره كرةً اخرى . وقال في ذات نفسه : سوف استريح الآن ريثما تُتمّ دورتها ، ثم أنهض حين ترجع ثانيةً وأستأنف نشاطي .

كان كل شيء يغريه بأن يستريح عند مقدّم الزورق

ويدعَ السمكة تُتم دورتها من غير ان يسترجع شيئاً من الخيط . ولكنْ ما إن اظهر التوترُ ان السمكة قد اتجهت نحو الزورق حتى هب الشيخ العجوز على قدميه ، واستأنف التأرجح والتمايل والجذب لكي يحتفظ بكل ما كسبه من الخيط .

وفكّر : انا اشد تعباً مما كنت في ايما وقت مضى .

وها هي ذي الريح التجارية تهب . ولكن هذه سوف تعينني على السمكة . انا في امسّ الحاجـــة إلى شيء من الهواء المنعش .

وقال :

« سوف استريح حتى الجولة الثانية ريثما تقوم بدورتها . ولقد اخذ النشاط يعاودني . ومـــا هي الا دورتان او ثلاث حتى أظهر عليها . »

وكانت قبعته المصنوعة من القش قد دُفعت الى مؤخر رأسه دفعاً بعيداً . واستهلت السمكة دورةً جديـدة . وتوتر الخيط كرة اخرى ، فخرّ الشيخ على مقدم القارب .

وفكر قائلًا : هذا دوركِ في العمـــل يا عزيزتي . ولكني سوف اقضي عليكِ حينَ تنعطفين .

وكانت مياه البحر قد ارتفعت ارتفاعاً بالغاً . ولكنها كانت احدى نسائم الجو الجميل . وكان هو في حاجـــة اليها من أجل العودة إلى هافانا .

وقال :

« سوف ادير الدفّة في اتجاه الجنوب والغرب . إن

المرء لا يضلّ سبيله في البحر ابداً . وكوبا على كل حال جزيرة طويلة . »

وعند الدورة الثالثة ابصر الشيخ سمكته آخر الامر . لقد رآهـــا ، اول ما رآها ، مثل ظل اسود استغرق مروره تحت القارب فترة طويلة من الوقت جعل الشيخ لا يصدق انها على هذا الطول كله .

وقال :

« لا . إنها لا يمكـن ان تكون ضخمـــة الى هذا الحد . »

ولكنها كانت ضخمةً الى ذلك الحـــد . وحين أتمت دورتها الثالثة تلك ، وانبثقت بكاملها ممتدةً عـلى مسافـة ثلاثين ياردة ، أبصر الشيخ ذنبها خارجـاً من الماء . كان أعلى من شفرة منجل كبير ، وكان لونـــه أزرق شديد الشحوب فوق زرقة الماء الداكنة . وفجأة اختفى الذنب . وفيما كانت السمكة تسبح تحت سطح البحر مباشرة صار في استطاعـة الشيخ ان يرى الى حجمها الضخم والى العصائب الارجوانية التي تطوّق جسدهـــا . كانت زعنفتها الظهرية ملويّة ، وكانت زعانفها الصدرية منشورة على مداها .

وفي تلك الدورة استطاع الشيخ أن يرى عين السَّيف ، والسُّمَيْكتين الرماديتين السابحتين حوله . كانتا تلتصقان احياناً بالسَّيف ، وتنفصلان احياناً عنـــه . وكانتا احياناً أخرى تسبحان في ظـله آمنتين مطمئنتين . وكان طول كلّ منهما

يعدو ثلاثة أقدام . وكانت سباحتها السريعة تذكّر بحركة الأنقليس المتثنّية .

كان الشيخ يتصبّب عرقاً ، ولكنْ بسببٍ من شيء آخر غير الشمس . ومع كل دورة من دورات السمكة الهادئة المسالمة ، كان الشيخ يسترجع جزءاً من الخيط ، وقد بات على مثل اليقين من أنه سوف يكون في ميسوره أن يطعنها بالحربون بعد دورتين اثنتين .

وبينه وبين نفسه قال : ولكن يجب أن أستاقها الى مكان قريب – قريب جداً . وينبغي ان لا أستهدف الرأس . القلب هو الذي يجب عليّ ان استهدفه .

وقال :

« كن هادئاً وقوياً ، ايها الرجل العجوز ! »

وفي الدورة التالية برز ظهر السمكة من تحت الماء ، ولكنه كان بعيداً عن الزورق بعداً غير يسير . وفي الدورة التي عقبتها كان لا يزال على مثل ذلك البعد ولكنه كان اكثر ارتفاعاً فوق سطح الماء . وايقن الشيخ بأنه اذا استرد مقداراً اضافياً من الخيط فعندئذ يوفق الى ان يقود السيف حتى حافة الزورق .

وكان قد اعدّ الحربون منذ فترة طويلة ، وكان حبله الرقيق ملتفاً في سلة مدوّرة ، وقد شُدّ اقصاه الى الوتد القائم في مقدّم القارب .

وفي تؤدة اتمت السمكة دورتها . كانت فاتنة حقاً ،

وكان ذنبها هو وحده الذي يتحرك . وجـذب الشيخ الخيط بأقصى ما يستطيع ان يجذبه لكي يزيـد السمكة قرباً مـن الزورق . وانقلبت السمكة على جنبها ، لحظة ليس غير ، انقلاباً جزئيـاً . ثم انها استقامت ، واستهلت دورة جديدة .

وقال الرجل العجوز :

« لقد حرّكتُها ! لقد حرّكتُها اذن ! »

واحسّ بالدوار يعصف برأسه ، ولكنه واصل جذب الخيط مفرغاً في ذلك كامل قوته . وبينه وبين نفسه قال : لقد حرّكتُها . ولعلي ان اوفق هذه المرة الى ان اسوقها حتى القارب . والآن ، إسحبا ايتها اليدان ! تماسكا ايتها الرجلان ! وأنت يا رأسي ، إبقَ الى جانبي ! إبق الى جانبي ! انت لم تفارقني في يوم من الايام . هذه المرة سوف اجرّها حتى الزورق .

ولكنه ما إن اخذ يجذب الخيط بأقصى ما يستطيع من قوة ، بادئاً ذلك قبل أن تقترب السمكة من القارب ، حتى وُفق السيف الى ان يناى ويُعرض بجانبه . ثم استقام واتخذ سبيله في البحر .

وقال الرجل العجوز :

« ايتها السمكة ، إنك سوف تموتين على اية حال . اتريدين ان اموت انا ايضاً ؟ »

وفكـّر : هذه طريقة حمقاء لا تؤدي الى شيء . وكان

فمه جافاً الى درجة جعلت من المتعذر عليه ان ينطق بكلمة . ولكنه ما كان قادراً على ان يبلغ الماء . وتابع تفكيره : ينبغي ان أستاقه الى الزورق هذه المرة . انا لا استطيع الثبات طويلًا بعد هذا . ثم خاطب نفسه قائلًا : بل في استطاعتك ان تثبت ! في استطاعتك ان تثبت الى آخر الدهـــر !

وعند الدورة التالية اوشك الشيخ أن يفوز بالسمكة . ولكنها ما لبثت ان استقامت كرة اخرى ومضت تسبح في أناة .

وبينه وبين نفسه قال : انكَ تقتلني ، أيها السيف ، ولكن لك الحق في ذلك . فأنا لم أشهد عمري كله شيئاً اكبر منك أو أجمل ، أو أرصن ، أو أنبل ، ايها الأخ . هيا اقتلني . فلست أُبالي ، بعدُ ، أيّنا قتلَ الآخر .

وفكـّر قائلًا : يبدو أن رأسك أمسى مشوّشاً . يجب ان تحافظ على صفاء رأسك . حافظْ على صفـــاء رأسك واعرِفْ كيف تحتمل بلاءك كأنسان . ثم أردف : او كسمكة !

وقال في صوت لم يسمعه إلا بشق النفس :

« إستعدْ صفاءك ، ايها الرأس ! إستعـد صفاءك ! »

ومرتين اخريين ، دار السّيف من غـــير ان يوفق الشيخ الى طعنه .

واستشعر انه على وشك ان يخرّ فاقد الوعي ، وخاطب

نفسه قائلًا : لست ادري . لست ادري . ولكني سأحاول مرة اخرى .

وحاول مرة اخرى . ولم يكد يقلب السمكة حتى احس بالدوار يعصف برأسه . وقوّمت السمكة نفسها ونأت في تؤدة ، ملوّحة بذنبها الطويل في الهواء .

وأكد الشيخ : سوف احاول مرة اخرى — على الرغم من ان الوهن كان قد غلب على يديه ، ولم يعد في ميسوره ان يُبصر إلا في لحظات معدودات .

وأعاد الكرة ، فلم يوفق الى مبتغاه . وأدركه حسّ الأغماء قبل ان يخاطب نفسه : وهكـــذا فسوف اكرّر المحاولة من جديد .

واستجمع كل ما بقي من قوّته وشجاعته وكبريائه التي تقضّت منذ زمـن بعيد وحشدها في وجه السمكة المحتضرة . واقتربت هذه من القارب ، سابحةً في رفق ، وقد اوشك أنفها ان يمسّ ألواح القارب ، وبدأت تجوز الزورق طويلةً ، عميقةً ، عريضة ، فضية ، معصّبةً بالأرجوان ، لامتناهية .

وطرح الرجل العجوز الخيط ، ووطئه بقدمه ، ورفع الحربون أعلى ما يستطيع أن يرفعه ، واغمده بكل قواه مردَفةً بالقوة الجديدة التي حشدها في تلـــك اللحظة — في جانب السمكة خلف زعنفة الصدر الكبرى الـتي عَلت في الهواء فكان ارتفاعها يضاهي ارتفاع صدر الشيخ . وأحس بجديد الحربون ينفذ في لحم السمكة فانحنى فوقه ودفعه الى أبعد

طارحاً ثقل جسده كله عليه .

وكأن السمكة استشعرت دبيب الموت في اوصالها فارتدت الى الحياة ، ووثبت عالياً من تحت سطح الماء عارضةً كامل طولها وعرضها الباذخين وكامل قوتها وجمالها . وبدت وكأنها معلقة في الهواء فوق الشيخ والقارب . ثم هوت الى اليمّ في طشيشٍ اثار رشاش المـــاء فوق رأس الشيخ وفوق القارب كله .

وألحّ الدوار والكلال على الشيخ ، فلم يعد قادراً على ان يرى جيداً . ولكنه حلّ خيط الحربون وتركه ينزلق في بطء بين يديه المسلوختي الجلد . حتى اذا عاودته القدرة على الأبصار رأى السّيف مستلقياً عـــلى ظهره ، وبطنهُ الفضيّ ناهدٌ الى اعلى . وكان نصل الحربون ناتئاً على نحوٍ منحرف ، من كتف السمكة ، وكانت ميـــاه البحر تصطبغ بلون الدم السائل من فؤادها . وكان ذلك اللون داكناً باديء الامر مثل شاطيء ضحلٍ ، في ذلك البحر الازرق الذي يزيد عمقه على ميل . ثم انتشر انتشار السحاب . وكانت السمكة لجينيةً ساكنةً ، وكانت تطفو مع الامواج .

وفي تلك الفترات القصيرة التي تمكن خلالها من الأبصار حدّق الشيخ في اهتمام ، ثم لف حبل الحربون مرتين اثنتين حول الوتد القائم عند مقدّم الزورق ووضـــع رأسه بين يديه .

وقال مستنداً الى خشب القيدوم : حافظْ على صفاء رأسك . انا رجل عجوز متعَب . ولكني قتلتُ هذا السّيف الذي هو اخي ، ويتعين عليّ ان اقوم الآن بمختلف ضروب العمل الشاق .

وفكّر : يجب ان أُعدّ الحبل والعُرى لكي اجرّ السمكة الى جانب القارب . وحتى لو كنا اثنين ، وحنَيْنا القارب لنقلّها عليه ثم أفرغناه من الماء لما كان في ميسور القارب ان يحملها . يجب ان أُعدّ الآن كل شيء . ثم أقتادها وأشدّها بالحبال شداً محكماً . حتى اذا تمّ لي ذلك أقمتُ السارية ، ونشرت الشراع ، ورجعت الى بيتي .

وشرع يجذب السمكة لكي تصبح في محاذاة القارب ، ولكي يكون في ميسوره ان يُدخِل الحبل من خلال خياشيمها ويخرجه من فمها ثم يشدّ رأسها الى القيدوم . وقال في ذات نفسه : اريد ان أراها . أن ألمسها . أن أجسّها . إنها ثروتي . ولكنْ ما لهذا أريد أن أجسّها . وتابع حديثه الباطني : أحسب اني مسستُ قلبها حين أغمدت نصل الحربون في المرة الثانية . إسحبها الى هنا الآن ، وأحكِمْ وثاقها ، وأمِرَّ انشوطة حول ذنبها ، وأنشوطة حول وسطها لشدّها الى القارب .

وقال :

« هيا الى العمل ، ايها الرجل العجوز ! » وتناول جرعة من الماء ، ثم اردف : « امامك اعمال شاقة كثيرة يجب ان تقوم بها بعد أن انتهى القتال الى غايته . »

ورفع بصره الى السماء ، ثم خفضه نحو سمكته . لقد تأمل موقع الشمس في اهتمام . وفكر وقـــال في ذات نفسه : نحن لم نَعُدْ الظهيرة كثيراً . وها هي ذي الريح التجارية تهبّ . والحبال ، إنها لم تَعُدْ ذات غناء ، منذ اليوم . ولكني سوف أصل ما بينها ، أنا والغلام حين أنتهي الى البيت .

وقال :

« هيّا ، تقدمي أيتها السمكة ! »

ولكن السمكة لم تتقدم . لقد اقامت هناك متمرغة في الماء ، فاضطر الشيخ الى ان يسحب القارب الى ناحيتها .

حتى اذا انتهى اليها وارتطم رأسها بمقـــدّم القارب لم يصدّق الشيخ عينيه . كانت ضخمة الى حـدّ بالغ . وفي الحال نزع حبل الحربون من وتد المقدّم وأمرّه في خيشوم السمكة مخرجاً اياه من فكيها ، واداره حول رمحهـــا ليُمرّه بعدُ في خيشومها الآخر . حتى اذا تم له ذلك لف الحبل كرّة ثانية حول رمح السمكة وعقد طرفيه ، وشدّ السمكة كلها الى الوتد القائم في مقدّم القارب . ثم انـــه قطع ما تبقّى من الحبل وارتدّ الى مؤخر الزورق لكي يشدّ الذنب بالطريقة نفسها .

وكان لون السمكة الارجواني الفضي قد حال الان فضياً خالصاً ، وتكشّفت العصائب عـن مثل لون الذنب البنفسجي الشاحب . وكانت تلك العصائب اعرض من يد

المرء وقد نشر اصابعه . أما عين السمكة فبدت نافرة متوحدة مثل مرايا البريسكوب ، او مثل قديس في موكب .

وقال الشيخ :

« لم يكن ثمة وسيلة اخرى لقتلها . »

كان شيء من النشاط قد عاوده بعد جرعة الماء التي تناولها . وصفا رأسه ، وأدرك انه لن يغمى عليه بعد الان . وفكّر : إن وزنه في ما يبدو يزيد على الف وخمسمئة رطل . ولعله ان يبلغ اكثر من ذلك بكثير . ولنفرض انه قد بقي منه ، بعد انتزاع الزوائد ، ثلثا هذا الرقم ، وان ثمن كل رطل ثلاثون سنتاً فكم تبلغ قيمة هذه السمكة ؟

وقال :

« أحتاج الى قلم لكي أجري حساب ذلك . ولعل رأسي غير صاف الى هذا الحد . ولكني اظن ان دي ماغيو العظيم سوف يكون فخوراً بي اليوم . أنا لم اشك ايّ نتوء في عظم العقب ، ولكن يديّ ملتهبتان وظهري كذلك . »

وفكّر : تُرى ايُّ شيء هذا الذي يدعونه نتوءاً في عظم العقب ؟ لعلنا نصاب به من غير ان نشعر .

وشدّ السمكة الى مقدّم القارب ومؤخره والى مقعد التجذيف الاوسط . كانت بالغة الضخامة حتى لقد خُيل

اليــه وكأنه يشدّ الى قاربه قارباً اكبر منه بكثير . وقطع جزءاً من الحبل وربط فكّ السمكة الادنى الى انفها لكي لا ينفتح فمها فيعوق حركة القارب . ثم إنه اقــام السارية . وبالعصا التي كانت له بمثابة المحجن ، نشر الشراع . واتخـذ الزورق سبيله في البحر ، واضطجع الشيـخ نصف اضطجاع في مؤخر القـارب ، وأدار السكان نحو الجنوب الغربي .

ولم يكن في حاجـة الى بوصلة لكي تنبئه أين يقـع الجنوب الغربي . كان حَسْبُهُ ان يستشعر الريح التجارية ويراقب تموّجات الشراع . وقال في ذات نفسه : مــن الافضل ان أدلي بخيط صغير شُدّ إليه مِشصّ عـلى شكل ملعقة لكي اصطاد شيئاً آكله وأبلّ عروقي بنداوتــه . ولكنه لم يهتدِ الى الشص الملعقيّ ، وكانت ذخيرتـه من السردين قد فسدت . وهكذا التقط بالمحجن حزمة مــن عشب « الخليج » الاصفر ثم هزّها لكي يُسقط اسمــاك الروبيان الصغيرة العالقة بها فوق ألواح الزورق . وهكذا تساقط ما يزيد على دزينة منهـا ، وراحت تثب وترفس مثل براغيث البحر . وفصل الشيخ ، بسبابته وإبهامـه ، رؤوس السُّميكات عن اجسادها ، ثم أكلها كلها حتى اصدافِها وأذنابِها . كانت ضئيلة جداً ، ولكن ريحهـا طيب ، وقوتها الغذائية كبيرة .

وكان قد بقي للشيخ ، في زجاجة الماء ، ملء كأسين

ليس غير . حتى اذا التهم سميكات الروبيان جرع مقدار نصف كأس . وأبحر الزورق على نحوٍ مُرْضٍ – إذا اعتبر المرء مختلف العوائق والعقبات – وقاده الشيخ ومقبضُ السُّكان تحت ذراعه . كان في ميسوره ان يرى الى السمكة ، وكان بحسبه ان ينظر الى يديه ويتحسّس ظهره بمؤخر الزورق لكي يدرك ان ذلك قد وقع فعلاً ، ولم يكن حلماً من الأحلام . ففي فترة ما ، حين اشرفت المعركة على الانتهاء ، وبلغ الأعياء منه كل مبلغ ، خُيّل للشيخ ان الأمر قد لا يعدو أن يكون مناماً . حتى إذا انطلق السيف من اعماق الماء ، وتدلى في السماء ، من غير حراك ، قبل ان يسقط في اللجة ، ثبت للشيخ ان ثمة شيئاً عجيباً جداً لا يستطيع هو أن يؤمن به . إنه ما كان قادراً على ان يبصر جيداً ، آنذاك . أما الآن فهو يرى كأحسن ما اعتاد أن يرى .

لا ، إنه لم ير ذلك كله في ما يراه النائم ، وها هي ذي السمكة الكبيرة تحت ناظريه ، وها هما يداه وظهره بجراحاتها والتهاباتها . وقال في ذات نفسه : سوف تشفى اليدان سريعاً . لقد أثخنتُها بالجراح ، ولكن الماء المالح سوف يلأم تلك الجراح . إن مياه « الخليج » الحقيقي السوداء هي اعظم دواء في الوجود . وكل ما يتعين عليّ عمله الآن هو ان أحتفظ بصفاء الرأس . لقد قامت اليدان بمهمتها ، وها نحن نبحر في سهولة ويسر . اجل ، نحن نبحر ، انا

والسَّيف ، مثل اخوين ، بعد ان أغلق فمه واستقام ذيله . ثم غامَ رأسه بعض الشيء ، وشرع يفكر : أهو الذي يقودني ، ام انا الذي اقوده ؟ لو كنت اقطره خلفي لما كان ثمة شك في المسألة . ولو قد كان هذا السيف منطرحاً في الزورق ، بعد ان زايله جلاله كله ، لما كان ثمة شك ايضاً . ولكنهما كانا يبحران ، وقد شُدّ احدهما الى الآخر جنباً الى جنب . وقال الشيخ في ذات نفسه : فليقدني هو إذا كان ذلك يروق له . أنا لم أفز عليه إلا بالحيل والاساليب غير الشريفة . وهو لم يكن ليقصد الى ايذائي ، على الاطلاق .

واتخذا سبيلهما الهادىء في البحر . ونقع الشيخ يديه في الماء الأجاج ، وحاول أن يحتفظ بصفاء رأسه . وكان يُظللها ركام من الغيوم السامقة ومقدار غير يسير من سُحب الطحارير جعل الشيخ يدرك أن الريح سوف تهبّ طوال الليل . ونظر الشيخ الى السمكة الكبيرة نظراً موصولاً لكي يوقن أنها حقيقة راهنة ! وكان ذلك قبل أن يهاجمه اول الاقراش .

ولم يكن ذلك القرش هناك ، مصادفة او اتفاقاً . ذلك بأنه غادر اعماق الاوقيانوس حين تشكلت سحابة الدم الداكنة ثم تبددت تَخَلل المياه البالغ عمقها ميلاً . وكان قد انطلق في سرعة بالغة ومن غير ما احتراس البتة حتى لقد كسر صفحة الماء الازرق . وأعشته اشعة الشمس ، فارتد غائصاً في البحر . ثم انه اهتدى من طريق الشمّ الى الاثر الدامي ،

وانشأ يسبح متعقباً الزورق والسمكة .

وكان يضل الاثر ، في بعض الاحيان ، ولكنه ما يلبث ان يهتدي اليه ، او تدله أمارة ما عليه ، فينطلق سابحاً خلف الزورق . كان قرشاً ضخماً جداً من الضرب المعروف باسم « ماكو » ، وقد أُعدّ ليسبح باسرع ما تسبح ايّ سمكة من سمكات البحر . كان كل ما فيه جميلاً ، ما عدا فكّيه . وكان ظهره ازرق كالسمكة السيف ، وكان بطنه لجينياً ، وجلده جميلاً املس . وكان اشبه ما يكون بأحد اسياف البحر ، لولا فكاه الضخمان اللذان كانا مطبقين ، الآن ، إطباقاً محكماً فيما هو يندفع سابحاً في سرعة ، تحت سطح البحر مباشرة ، وقد شقت الماء زعنفته الظهرية العالية ، كشفرة فولاذية ، من غير ان تتذبذب . وفي فمه المطبق ، كانت ثمانية صفوف من الانياب المنحرفة ، المرتدّة رؤوسها نحو الداخل . ولم تكن مثل الاسنان الهرمية العادية التي لمعظم الاقراش ، ولكنها كانت اشبه شيء بأصابع إنسان مُنْشَبة كالبراثن . وكان طولها يبلغ طول اصابع الشيخ تقريباً ، وكان لكل منها — على الجانبين — حافتان قاطعتان كالموسى . وكانت اسماك البحر ذات السرعة والقوة البالغتين ، والاسلحة الواقية ، تعتبر ان ليس لها عدوّ غير هذه السمكة . انها قادرة على ان تلتهمها جميعاً .

وتعاظمت سرعة القرش حين استروح عبق الدم الاكثر

غضاضة . وانشأت زعنفته الظهرية تشق عباب الماء .

وحين بَصُرَ الشيخ بتلك السمكة تتقدم نحوه ادرك أن ذلك قرش لا يعرف الخوفُ سبيلًا الى قلبه ، وانه خليق به أن يفعل كل ما يحلو له على وجه الضبط . وأعد الشيخ الحربون وأوثق الحبل ، فيما هو يراقب القرش يتقدم . وكان الحبل قصيراً بعد ان أعوزه ما اقتطعه منه قبل ذلك لكي يشد وثاق السيف .

واستشعر الشيخ النشاطَ والصحوَ . وكان ينضح قوةً وعزماً ، ولكنه كان قليل الأمل في النجاح . وفكر قائلًا : هذا الوضع جيدٌ الى درجة تجعل استمراره امراً متعذراً . وألقى نظرة على السمكة الكبيرة فيما راح يراقب تقدمَ القرش نحو الزورق . وقال بينه وبين نفسه : كان من الممكن ان يكون هذا حُلماً ايضاً . انا لا استطيع أن احول بينه وبين الهجوم عليّ ، ولكنْ لعلي أوفق الى أن أصرعه . وفي ذات نفسه قال : أيها القرش ، لأمّك الهَبَل !

وانتهى القرش الى مؤخر الزورق . حتى اذا هاجم السَّيفَ رأى الشيخ فمه المفتوح ، وعينيه الغريبتين . وسمع أسنانه تصطك مُطبقة على اللحم الذي يجاور الذيل مباشرة . وأخرج القرش رأسه من الماء ، وارتفع ظهره الى سطح البحر . وكان جلد السَّيف ولحمه قد شرعا يتمزقان في اللحظة التي طعن فيها الشيخ رأس القرش بحربونه ، عند

تلك النقطة التي تعارض فيها الخط الممتد ما بين العينين بالخط المرتد من الانف مباشرة . ولم تكن هذه ، في الواقع ، غير خطوط وهمية . اذ لم يكن ثمة غير الرأس الازرق الثقيل المستدق ، والعينين الكبيرتين ، والفكين الواخزين المفترسين كل شيء . ولكن كان ذلك مستقر الدماغ ، فطعنه الشيخ هناك . طعنه بيديه الداميتين الزلقتين مغمداً حربونه المطواع بأقصى مايستطيع من قوة . طعنه من غير أمل ، ولكن في عزم ، وفي حقد غامر .

وانقلب القرش على جنبه ، فرأى الشيخ ان عينه كانت خلواً من الحياة . وانقلب على جنبه كرة أخرى لافاً نفسه بالحبل مرتين . وأدرك الشيخ ان القرش قضى نحبه ، ولكنه يأبى التسليم بذلك . لقد استلقى على ظهره ، صافعاً بذنبه الهواء ، مطبقاً انيابه على الفراغ ، وأنشأ يثير الماء مثل زورق من زوارق السباق . وازبدت المياه حيث اصابها ذيله . وكان ثلاثة ارباع جسده فوق سطح الماء عندما توتر الحبل ، وارتعش ، ثم انقصف . وانطرح القرش ساكناً فوق سطح الماء ، فترة قصيرة ، ثم غاص الى الاعماق في اناة بالغة .

وقال الشيخ في صوت عالٍ :

« لقد التهم نحواً من اربعين رطلاً . »

ثم فكّر : ليس هذا فقط ، بل لقد اخذ حربوني ايضاً ، والحبل بكامله . وها هي سمكتي يسيل منها الدم

كرةً اخرى . ولا بد ان تُقبل الآن اقراش اخرى .

ولم يؤانس في نفسه ميلًا الى النظر الى السمكة بعد ان بُترت وشوّهت . فحين نهش القرش لحم السمكة أحس الشيخ وكأن لحمه هو ، هو الذي نُهش .

وبينه وبين نفسه قال : ولكني قتلتُ القرش الذي نهش لحم سمكتي . وكان أكبرَ الأقراش التي رأيتها في حياتي . والله وحده يعلم كم قرشٍ ضخم أبصرتْ عيناي .

وفكّر : كانت الحال اجود من ان تستمرّ . ليت ذلك كله كان حُلماً ، وليتني لم اصطد هذا السيف . بل ليتني كنت في سريري فوق الصحف العتيقة .

وقال :

« ولكن الانسان لم يُخلق للهزيمة . الانسان قد يُدمَّر ولكنه لا يُهزم . »

وفكّر : ومع ذلك فأنا آسف لقتلي هذه السمكة . وها قد اوشكت الاحوال الجوية أن تسوء ، وليس عندي حربون . إن القرش وحشيّ وبارع ، قويّ وذكي . ولكني كنت اذكى منه . ولكن من يدري ؟ لعلي كنت اقوى سلاحاً ليس غير .

وقال في صوت عالٍ :

« لا تفكر ، أيها الرجل العجوز . أَبحِرْ في هذا الاتجاه ، وواجِهِ الاشياء عند حلولها . »

وبينه وبين نفسه قال : ولكن يتعين عليّ ان افكر .

لأن التفكـــير هو كل ما تبقّى لي . اعني التفكير والبيسبول . تُرى ، ما رأي دي ماغيو الكبير في الطريقة التي طعنته بها في الدماغ ؟ وفكّـر : ولكنهـــا لم تكن شيئاً عظيماً . كان في ميسور ايّ رجل ان يفعل مثـــل ذلك . ولكن هل تظن ان يديّ المسلّختـــين كانتا عائقاً كبيراً كنتوء عظم العقب ؟ لست ادري . انا لم اشكُ ألماً في عقبي ، طوال حياتي ، إلا حـين وطئت ، وانا اسبح ، احدى السمكات المفلطحة فلسعت عقبي بجُمـتها . وحتى هذه اللسعة شلت رجلي كلها ، وأورثتني ألماً لا سبيل الى احتماله .

وقال :

« فكـّر في شيء يوقع البهجة في فؤادك ، ايها الرجل العجوز . إن كل دقيقة تقربك خطـــوات من البيت . وانت تُبحر الان في سرعة اعظم بعد ان خسرت اربعين رطلاً من لحم السمكة . »

وكان يعرف جيداً ما الذي سيقع حـــين ينتهي الى قلب التيـــار . ولكن لم يكن ثمة ما يُعمل ، الآن .

وقال في صوت عال :

« بلى ، هناك ما يمكن ان يُعمل . في استطاعتي ان اشد مديتي الى عقب أحد المجذافين . »

وكذلك فعل ، ومقبض السكان تحت ذراعه ، والحبل المعدّل لاتجاه الشراع تحت قدمه .

وقال :

« والآن ، أنا لا أزال شيخاً كبيراً ، ولكني لست أعزل من السلاح . »

كان النسيم عليلًا . وكان الزورق يبحر في سلاسة . ولم يكن في مستطاع الشيخ ان يرى غير الجزء الأعلى من سمكته . وعاوده الامل بعض الشيء .

وخاطب نفسه قائلًا : من الحماقة ان يفقد المرء الامل . والى هذا ، فانا أعتبر ذلك إثماً . ولكن دع عنك التفكير في الاثم . إن عندك من الهموم ما لا يبقي مجالاً للتفكير في الأثم . أضف الى ذلك أني لا افهمه على الاطلاق .

أنا لا افهم الاثم ، ولست واثقاً من انني أؤمن به . لعله كان اثماً ان اقتل السمكة . بل اني لاظنه كذلك ، برغم اني اقدمت عليه لكي أسدّ رمقي وأُطعم كثيراً من الناس . ولكن كل شيء يصبح عندئذ اثماً . لا تفكر في الاثم ، ايها الرجل العجوز . لقد فاتك القطار الآن ، وهناك اناس تُدفع اليهم الأجور لكي يقترفوه . دعهم يفكرون في ذلك . اما انت فقد وُلدت صياداً كما وُلدت السمكة لكي تكون سمكة . القديس بطرس كان صياد سمك ، ووالد دي ماغيو العظيم كذلك .

ولكنه كان مولعاً بالتفكير في جميع الاشياء التي تعنيه . واذ لم يكن عنده شيء يقرأه او راديو يستمع اليه فقد استغرق في التفكير ، وأصر على النظر في موضوع الخطيئة . انت لم تقتل السمكة لأنك تتضوّر جوعاً ، ولا لمجرد رغبتك في بيعها - كذلك قال في ذات نفسه .

لقد قتلتَها بسائق الزهو والخيلاء ، ولأنك صياد سمك . لقد احببتَها حين كانت على قيد الحياة ، ولقد احببتَها بعد ذلك ايضاً . واذا كنت تحبها فليس من الاثم ان تقتلها . ام ان ذلك ادهى وأمرّ ؟

وقال في صوت مرتفع :

« انت تفكر كثيراً ، ايها الرجل العجوز . »

وحدثته نفسه : ولكنك وجدتَ متعة في قتل القرش . إنه يعيش على السمك الحي ، مثلك . إنه لا يحيا على الجيف ، وليس مجرد معدة متحركة مثل بعض الاقراش . إنه جميل ، ونبيل ، وليس يعرف الخوفَ من اي شيء .

وصاح الشيخ :

«لقد قتلتُه دفاعاً عن النفس . ولقد قتلته في ضراوة .»

وبينه وبين نفسه قال : والى هذا فكل شيء يقتل كل شيء آخر بطريقة ما . إن صيد السمك يفتك بي كما يبقيني على قيد الحياة ، سواء بسواء . والغلام يمدني بالحياة. ينبغي ان لا اخدع نفسي اكثر مما ينبغي .

وانحنى فوق جانب الزورق ، وانتزع قطعة من لحم السيف الذي نهشه القرش . ومضغها معجباً بجودتها وحسن مذاقها . كانت خلواً من الألياف ، ولقد ادرك الشيخ انها خليقة بأن تفوز في السوق بالسعر الأعلى . ولكن لم تكن ثمة وسيلة للحيلولة بين عبيرها والنفاذ الى اعماق البحر ، وكان الشيخ يعلم ان ذلك سوف يجرّ عليه متاعب مزعجة

جداً .

وكانت الريح تهب على نحو موصول . لقد ارتدّت بعض الشيء ، كما فعلت من قبل ، الى الشمال الشرقي ، فعرف الشيخ من ذلك انها لن تهدأ . وتطلع الرجل العجوز امامه ، ولكنه لم يستطع ان يرى شراعاً ما ، او دخاناً مـا ينبعث من ايّ مركب . لم يكن ثمة غير السمكات الطائرة التي انطلقت من مقدم زورقه واتخذت سبيلها ذات اليمين وذات الشمال ، وغير اعشاب « الخليج » الصفراء . إنه ما كان قادراً على ان يرى عصفوراً واحداً .

وكان قد ابحر على هذا النحو ساعتين اثنتين ، مستنداً الى مؤخر الزورق ، ماضغاً بين الفينة والفينة قطعة من لحم السيف ، محاولاً ان يستريح ويستعيد قواه ، عندما بَصُرَ بأول القرَشَيْن .

وصاح :

« آي ! »

ولا سبيل الى ترجمة هذه الكلمة . ولعلها مجرد صوت كذلك الذي يُرسله المرء ، على نحو غير اراديّ ، حين يحس بالمسمار يخترق يده ويغيب في الخشب .

وصاح :

« غالانوس » *galanos*

لقد رأى الزعنفة الثانية تتقدم خلف الأولى ، فأدرك انه امام قرشين من ذوات الانف الشبيه بالمسحاة . وانما

عرف ذلك من الزعنفة السمراء المستطيلة ، ومن حركات الذنب الشبيهة بضربات المكنسة . لقد استروحا دم السيف ، فهاجهما ذلك ، ولكن جوعهما العظيم الاحمق كان يُضلّهما الاثر ثم يردّهما اليه من غير انقطاع . ومع ذلك فقد كانا يقتربان من الزورق على نحو موصول .

واوثق الشيخ الحبل المعدّل لاتجاه الشراع ، وثبّت مقبض السكان ، وأمسك بالمجذاف الذي شدّ اليه المدية . ورفعه بأقصى ما يستطيع من الرفق ، لأن يديه كانتا تتميزان ألماً . ثم إنه فتحهما وأطبقهما على المجذاف ، غير مرة ، وفي أناة ، تليينا لهما . وأخيراً أطبقهما في إحكام بالغ لكي يخنق الألم اللاذع ، وأنشأ يراقب القرشين المندفعين نحو الزورق . لقد رأى رأسيهما العريضين المسطحين الشبيهين بالمسحاة ، وزعانفهما الصدرية العريضة البيضاء الرؤوس . كانا قرشين قذرين ، كريهي الرائحة يعيشان على الجيف اكثر مما يعيشان على الصيد والقنص . وكانا اذا ما استبدّ بهما الجوع خليقين بأن يهجما على مجذاف الزورق او دفّته فيعضّانهما ، وبأن يقطعا أرجل السلاحف وأيديها حين تكون السلاحف نائمة فوق سطح الماء . ليس هذا فحسب ، بل لقد كانا خليقين بأن ينقضّا على الانسان فيطرحاه في الأعماق ، حتى ولو لم تفح منه رائحة السمك أو رائحة الدم .

وقال الشيخ :

« آي ، غالانوس ! هيّا ، غالانوس ! »

وأقبلا . ولكنهما لم يُقبلا كما أقبل القرش الاول — الـ « ماكو » . فقد استدار أحدهما وغاب عن العيان تحت القارب ، وكان في ميسور الشيخ ان يحسّ بالقارب يهتزّ فيما هو ينهش السمكة . وراقب الآخرُ ، بعينيه الضيقتين الصفراوين ، الرجلَ العجوز ، ثم انقضّ فجأةً ، فاغرَ الفكّين ، على السمكة ، فنهشها حيث نُهِشت من قبل . وبدا الخطّ الحياليّ واضحاً من قمة رأسه الأسمر الى حيث يتصل الدماغ بالحبل الشوكي . وفي تلك النقطة بالذات طعن الشيخ القرش بالمدية المشدودة الى المجذاف . ثم إنه سحبها واهوى بها من جديد على عيني القرش الصفراوين الشبيهتين بأعين الهررة . فما كان من القرش إلا ان خلّى السمكة ، وغارَ في الماء ، مزدرداً ما نهشه منها ، ومات .

وكان القارب ما يزال يرتعد بسبب من هجمات القرش الآخر على السمكة . وخلى الشيخُ الحبلَ المعدِّل لاتجاه الشراع لكي يدور الزورق بالعرض ، ويخرج القرش من تحته . ولم يكد الشيخ يرى الى القرش حتى انحنى فوق جانب الزورق وطعنه بمديته . ولكنه لم يُصبْ منه غير لحمه ، بسبب من قساوة الجلد على نحو جعل المدية لا تنفذ الى جسد القرش إلا بشقّ النفس . ولم تؤلم الطعنة يدي الشيخ وحسب ، بل آلمت كتفه ايضاً . ولكن القرش

ارتفع في سرعة ُمطلعاً رأسه من الماء . ولم يكد انف القرش يخرج من الماء ويستقر على السمكة حتى طعنه الشيخ في أمّ رأسه المسطح . ثم إن الشيخ انتزع المدية واغمدها في رأس القرش حيث طعنه أول مرة . ولكن القرش تشبث بالسمكة ، مطبقاً فكيه على لحمها . فطعنه الشيخ في عينه اليسرى . ومع ذلك فقد ابى القرش ان يتزحزح .

وقال الرجل العجوز :

« ألا يكفيك هذا ؟ »

وأغمد المدية بين الفقار والدماغ ، فشقت طريقها في سهولة ويسر . واحسّ بالغضروف ينفطر . وقلب المجذاف وغيّب النصل بين فكّي القرش لكي يفتحهما . ثم ادار النصل حول نفسه عدة مرات . حتى اذا خلى القرش السمكة وغار في الماء قال الشيخ :

« أغربْ من هنا ! غصْ الى عمق ميل كامل . إذهب والقَ صديقك ، ومن يدري ؟ فلعلها أمك . »

ومسح الشيخ شفرة مديته ، ووضع المجذاف جانباً . ثم انه أمسك بالخيط المعدّل لاتجاه الشراع ، فانتفخ الشراع ، واستقام الزورق في طريقه السويّ .

وقال في صوت عال :

« لقد اكلت الاقراش ربع السمكة على الاقل ، الربع الذي يضمّ احسن لحمها . ليت ذلك كان حلماً .

وليتني لم أُوقع هذا السيف في شركي ! إن هـــذا يحزنني ايتها السمكة . إنه يفسد كل ما عملتُهُ . »

وصمت ، ولم يعد راغباً في النظر الى السمكة . كانت دماؤها قد استُنزِفت ، وكان الماء يغسلها من اقطارها فهي تبدو في مثل لون الفضة التي ُتطلى بها ظهـــور المرايا . وكانت العصائب التي تطوّقها ما تزال بادية للعيانِ .

وقال :

« ما كان ينبغي لي ان اذهب الى هذا الحد ، أيتها السمكة . إن ذلك لم يكن لا في مصلحتي ولا في مصلحتك . أنا آسف ، ايتها السمكة ! »

وخاطب نفسه قائلًا : والآن ، ألقِ نظرة على وثاق المدية لتستيقن انه لم ينقطع . ثم أَوْلِ يديك بعض الاهتمام لان ثمة اقراشاً اخرى سوف ُتقبل من غير ريب .

وقال بعد ان فحص الوثاق الذي يشدّ المدية الى عقب المجذاف :

« لشدّ ما اتمنى لو كان عندي حجر أشحذ عليه المدية . كان ينبغي أن آتي بحجر . »

وفكّر : كان يتعين عليك ان تأتي بأشياء كثيرة ، ولكنك لم تأت بها أيها الرجل العجوز . وليس هـذا هو وقت التفكير في ما يعوزك . فكّر في الذي تستطيع ان تفعله بما في حوزتك من اسباب .

وقال في صوت عال :

« أوه ، كفّ عن إسداء هذه النصائح اليّ . لقد مللتُ ذلك . »

ووضع مقبض السكان تحت ذراعه وغمس كلتا يديه في الماء ، بينا كان القارب يمضي في سبيله .

وقال :

« الله وحده يعلم كم انتزع القرش الاخير من لحم السمكة . ولكنها أمست أخفّ من ذي قبل بكثير . »

ولم يكن راغباً في ان يفكر في التشويه الذي أصاب الجزء الأدنى من السمكة . فقد عرف ان كل زلزلة أثارها القرش كانت تعني قطعةً من لحم السّيف تُنهَش وتُزدرد ، وأن السيف قد ترك لجميع أقراش البحر أثراً لاحباً كالجادة يشق صفحة الماء .

وقال في ذات نفسه : هذه السمكة تستطيع أن تملأ جوف الانسان طوال الشتاء . ولكنْ ، دع عنك التفكير في ذلك . كل ما عليك ان تعمله هو ان تستريح ، وان تحاول إعداد يديك للدفاع عما تبقّى من السمكة . إن رائحة الدم المنبعث من يديّ ليست شيئاً بالقياس الى هذه الرائحة التي تفوح من الماء . والى هذا ، فان الدم ما عاد يسيل منهما كثيراً . وليس ثمة جرحٌ واحد ذو خطر . وجريان الدم قد يقي اليد اليسرى من التشنج .

وفكّر : ما الذي استطيع أن افكر فيه الآن ؟ لا شيء . يجب ان لا افكر في شيء ، وأن انتظر الاقراش

التالية . لشدّ ما أتمنى لو كان ذلك حُلماً حقاً ! ولكن من يدري ؟ فقد كان من الممكن ان يُسفر عن نتيجة حسنة .

وكان القرش التالي مفرداً . وكان ذا رأس عريض شبيه بالمسحاة . وانقضّ على فريسته كما ينقض خنزير على مذوده لو كان للخنزير شدق عريض يمكنك من ان تضع رأسك فيه . وتركه الشيخ ينهش لحم السمكة ثم غيّب مديته المشدودة الى المجذاف في دماغه . ولكن القرش ارتد الى الوراء وهو يعاني سكرات الموت فانكسر نصل المدية .

وانصرف الشيخ الى ادارة السكان . إنه لم يلقِ ولو نظرة واحدة على القرش الضخم الذي راح يغوص في الماء ، وقد بدا في حجمه الطبيعي ، باديء الأمر ليغدو بعدُ صغيراً فضئيلاً . كان ذلك المشهد يفتن الشيخ دائماً . ولكنه لم يبالِ به ، الان ، البتة .

وقال :

« لم يبق عندي غير المحجن . ولكنه لن يكون ذا غناء . وعندي المجذافان ، ومقبض السكان والهراوة القصيرة . »

وخاطب نفسه : الآن غُلبت . انا اعلى سناً من ان أقرع الاقراش ، بالهراوة ، حتى الموت . ولكني سوف اكافح ما دام عندي المجذافان ، والهراوة الصغيرة ومقبض السكان .

ووضع يديه في الماء ، كرة اخرى ، لـكي ينقعهما . وكان الأصيل يؤذن بالانقضاء . ولم تقع عينا الشيخ على شيء ، غير الماء والسماء . وهبت الريـح ، وصار في ميسوره ان يعلل النفس برؤية اليابسة عما قليل .

وقال :

« انت متعب أيها الرجـل العجوز ! أنت متعَب حتى العظم ! »

ولم تهاجمه الاقراش كرةً اخرى إلا بعد ان جنحت الشمس الى الغروب .

وبصر الشيخ بزعنفتين سمراوين تتخذان سبيلهما عـبر الاثر العريض الذي تركته السمكة في الماء . ومن عجب ان هذين القرشين لم يضربا في البحر التماساً للرائحة ، بل انطلقا نحو القارب مباشرةً ، سابحين جنباً الى جنب .

وثبّت الشيخ مقبض السكان ، وأوثق حبل الشراع ، وانتزع الهراوة من تحت مؤخر الزورق . وكانت عبارةً عن مقبض مجذاف مكسور نُشر حتى أمسى طوله نحـواً من قدمين ونصف . ولم يكن بقادر على ان يصطنعها في فعالية إلا اذا أمسكها بيد واحـدة ، بسببٍ من شكل مِسكها . وفي حزم ، اطبق الشيخ بيده اليمنى عليهـا ، وانحنى فوقها وانشأ يراقب اندفاع القرشين . كانا كلاهما من نوع غالانوس .

وخاطب نفسه : يجب ان أدع أولهما يُنشب أنيابه في

السمكة ثم أضربه على أنفه أو عبر قمة رأسه .

واندفع القرشان نحو السمكة ، في آنٍ معاً . حتى اذا رأى أقربهما يفتح فكّيه ويطبقهما على بطن السمكة الفضي ، رفع الهراوة عالياً ثم أهوى بها ثقيلةً صاخبةً على أمّ رأس القرش العريض . وواجهت الهراوةُ ضرباً من المقاومة المطاطية المرنة ، ولكن الشيخ احسّ في الوقت نفسه بصلابة العظم . وفيما القرش ينأى عن السمكة ، ضربه الشيخ كرة اخرى على انفه .

وكان القرش الآخر قد انقضّ على السمكة وارتدّ عنها مرات عديدة ، وكان قد انقلب اليها الآن واسعَ الشدقين . لقد رأى الشيخ الى قطع اللحم – لحم السمكة – تسيل بيضاء من زاوية فمه فيما هو ينقضّ على السمكة وينشب أنيابه فيها . ورفع الشيخ الهراوة وأهوى بها عليه ، ولكنه لم يصب غير رأسه . ونظر اليه القرش ، وانتزع قطعة اللحم التي كان قد قطعها . وأهوى الشيخ بهراوته عليه فيما كان ينسلّ ليبتلع تلك القطعة ، ولكنه لم يصب هذه المرة ايضاً غير الطبقة المطاطية الكثيفة من الرأس .

وقال الرجل العجوز :

« تعال ، ايها القرش ! تعال مرةً اخرى ! »

واقبل القرش في اندفاعة ، فاستقبله الشيخ بهراوته حين أطبق فكيه . لقد رفع الهراوة اعلى ما يستطيع ان يرفعها

واهوى بها قويةً قاضية . وهذه المرة استشعر الشيخ انه اصاب العظم عند مستقرّ الدماغ . ثم سدّد الى ذلك الموضع عينه ضربةً اخرى ، فيما انتزع القرشُ الخدِر قطعة اللحم ونأى عن السمكة .

وقال الشيخ في ذات نفسه : قد يعود . ولكن اياً من القرشين لم يبرز للعيان . ثم رأى واحداً يحوّم فوق سطح الماء . ولم يرِ زعنفة الاخر .

وفكّر : لم يكن في وسعي ان اتوقع قتلها . فقد تغير الحال الان . ولكني اصبتها كليهما إصابة خطيرة ، ولن يستشعر ايّ منهما نشاطاً منذ اليوم . ولو قد كان في إمكاني ان اضربهما بكلتا يديّ بأحد النبابيت اذن لقتلت اولهما من غير ريب . حتى في هذه اللحظة — كذلك قال في ذات نفسه .

ولم يرغب في النظر الى السمكة . لقد عرف ان الاقراش قد التهمت نصفها . وكانت الشمس قد جنحت الى الغروب فيما هو منهمك في قتال القرشين .

وقال :

« سوف يهبط الليل وشيكاً . وعندئذ لا بد ان أرى اضواء هافانا . واذا كنتُ قد اوغلت في المضي نحو الشرق فسوف ارى اضواء شاطيء من الشواطيء الجديدة . »

وفكّر : ينبغي ان لا أوغل في الابتعاد عن الشاطيء منذ اليوم . وأرجو ان لا يقلقوا عليّ هناك . ان الغلام

وحده هو الذي سوف يقلق عليّ ، طبعاً . ولكني واثق من أنه لن يقطع الرجاء . وكثير من الصيادين الشيوخ سوف يقلقون . وكثيرٌ غيرهم ايضاً . أنا أحيا في بلدةٍ طيبة .

ولم يعد في ميسوره أن يخاطب السمكة بعد الآن لأن السمكة كانت قد شُوّهت تشويهاً فظيعاً . وفجأةً ، طافت طافت برأسه فكرة .

وقال :

« يا بقيةً من سمكة ! يا سمكةً كُنْتِها ! أنا آسف لأيغالي في الابتعاد عن الشاطىء . لقد حطمني ذلك وحطمكِ . ولكنا قتلنا كثيراً من الاقراش ، انا وانتِ ، ودمّرنا كثيراً منها . كم قرشاً قتلتِ في حياتك ايتها السمكة العجوز ؟ انت لم تحملي ذلك الرمح على رأسك لغير ما سبب ! »

وأحب ان يفكر في السمكة وفي ما تستطيع أن تفعله بأحد الاقراش لو كانت تسبح في حرية . وفكر : كان ينبغي ان اقتطع رمحها ذاك واحارب الاقراش به . ولكن لم يكن ثمة فأس ، وكنت قد فقدت مديتي .

آه لو استطعت ان افعل ذلك ! آه لو استطعت ان أثبّته الى عقب احد المجذافين ! أيّ سلاح هائل كنت خليقاً بأن افوز به ! واذن لكنا جديرين ، أنا وأنت ، بأن نقاتلهم معاً . ما الذي سوف تفعلينه الان إذا اقبلوا

في الليل ؟ ما الذي تستطيعين أن تفعليه ؟
وقال :
« القتال ! سوف اقاتلهم حتى اموت ! »
واذ غمره الظلام ، ولم تقع عينه على ايما وهج ولا اضواء ، واذ أمسى متوحداً لا رفيق له غير الريح وغير اندفاعة الشراع المطردة ، استشعر وكأنه قد أسلم الروح. وشبك يديه ، وجسّ راحتيها ، فاذا هما غير ميتتين على الاطلاق . ولم يكن محتاجاً ، لكي يُجري الحياة فيهما ، الى اكثر من فتحها وإغلاقها على نحو موصول . وأسند ظهره الى مؤخر القارب ، وأدرك انه ليس ميتاً . لقد أنبأته بذلك كتفاه .
وفكّر : هناك جميع تلك الصلوات التي وعدت بتلاوتها اذا ما فزت بالسمكة . ولكني من الاعياء بحيث لا يمكنني من ان اتلوها الان . من الأفضل ان آتي بالكيس وأضعه فوق منكبيّ .
واستلقى في مؤخر القارب نصف استلقاءة ، وامسك بالسكان ، وانشأ يراقب الافق عله يقع على طلائع الضوء . وقال في ذات نفسه : لقد بقي من السمكة نصفها ، فعسى ان يكون من حظي ان ابلغ به شاطيء السلامة . انا استحق شيئاً من الحظ . ثم اردف في الحال : لا . لقد انتهكتَ حرمة حظك حين اوغلتَ في الابتعاد عن الشاطيء هذا الأيغال كله .

وقال في صوت عالٍ :

« لا تكن أحمق ! حاذِرْ ان تستسلم للنعاس ، وأدِرِ السكان . فقد يحالفك الحظ بعد قليل . »

وفكّر : اود لو أشتري شيئاً من لحمها إذا ما عرضوها للبيع في مكانٍ ما .

وسأل نفسه : ولكن بمَ أشتري تلك القطعة من لحمها ؟ هل استطيع ان اشتريها بجربون ضائع ، ومدية مكسورة ، ويَدَين واهنتين ؟!

وقال في ذات نفسه : ولمَ لا ؟ لقد حاولتَ ان تشتريها بأربعة وثمانين يوماً قضيتها في عرض البحر . بل لقد كادوا يبيعونها لك ايضاً .

وفكّر : يجب ان لا افكر في هذا الهراء . الحظ شيء يأتي في صور متعددة . ومن ذا الذي يستطيع ان يتبينه ؟ وعلى اية حال ، فاذا ما جاءني الحظ ، في صورة ما ، فسوف افعل كل ما يطلب اليّ فعله . انا اتمنى اشياء كثيرة جداً . ولكن هذا هو الشيء الذي اتمناه الان . وحاولَ ان يتخذ وضعاً يمكنه من ادارة السكان على نحو ادعى الى الراحة . وكان في الألم الذي اورثته إياه هذه الحركة ما اكد له انه ليس بميت .

وحوالى الساعة العاشرة ليلاً ، في اغلب الظن ، بَصُرَ بهالة الانوار المنعكسة من المدينة على صفحة الماء . وكانت اول امرها اشبه شيء بذلك الضوء البـــاهت الذي ينتشر في

السماء قبيل بزوغ القمر . ثم انتهت الى ان تصبح ثاقبة تخترق وجه المحيط الذي طفقت امواجه تتلاطم بعد ان اشتدت الريح . وقاد الشيخ زورقه ضمن نطاق الهالة ، وقدّر انه سوف يبلغ حاشية التيار في وقت قريب .

وقال في ذات نفسه : انتهى الان كل شيء . واغلب الظن ان الاقراش سوف تهاجمني من جديد . ولكن اي شيء يستطيع المرء ان يفعله بها ، في غمرة الظلام ، وهو اعزل من السلاح ؟

كان متصلب الاوصال ، مغيظاً . وكان برد الليل قد أثار كل جراحات جسده المرهق وآلامه . وخاطب نفسه قائلًا : ارجو ان لا أضطر الى استئناف القتال . ارجو من شغاف قلبي ان لا أضطر الى استئناف القتال !

ولكنْ ما إن انتصف الليل حتى خاض غمار معركة اخرى . وادرك الشيخ ان القتال هذه المرة عبث لا طائل تحته . فقد اندفع نحوه من الاقراش قطيعٌ كامل ، ولم يكن في ميسوره ان يرى غير الخطوط التي احدثتها زعانف الاقراش في الماء وغير تألقها الفوسفوري وهي تنقضّ على السمكة . وانهال الشيخ على رؤوس الاقراش ضرباً ، وسمع فكوكها تُطبق مدوّية ، واحسّ بالقارب يتأرجح فوق ظهورها . وناضل الشيخ ، في يأس ضد أعداء لم يكن قادراً على ان يراها ، ولكنه يحسّ بها ويسمعها . وفجأة استشعر شيئاً ينتزع المراوة ، فضاعت من يديه .

وهنا نتر الشيخ مقبض السكان وراح يضرب به الاقراش ، رافعاً إياه بكلتا يديه ، مُهوياً به مرةً بعد مرة . ولكن الاقراش كانت قد انتهت الى القيدوم ، فهي تنقضّ على السمكة ، وحداناً وزرافاتٍ ، وتنهش اجزاء من لحمها كانت تراها تتوهج تحت الماء وهي ترتدّ منقضّةً على السمكة من جديد .

واخيراً انقضّ احد الاقراش على رأس السمكة نفسها . وادرك الشيخ ان كل شيء قد انتهى . فرفع مقبض السكان وأهوى به على رأس القرش ، وكانت كثافة رأس السمكة قد استعصت على فكي القرش فهو لا يستطيع انتزاع شيء منه . وعاود الشيخ ضرب القرش مرةً ومرةً ومرةً . وانكسر مقبض السكان . فواصل ضرب القرش بعقب المقبض المكسور . وأحسّ بهذا العقب ينفذ الى رأس القرش ، فأدرك أنه حادّ فعاود ضرب القرش به . وعندئذ نأى القرش وأعرض بجانبه ، وتلوّى في سكرة الموت . وكان ذلك آخر قرشٍ انقضّ على السمكة من اقراش القطيع . إذ لم يبق من تلك السمكة ما تستطيع الاقراش أن تأكله .

كان الشيخ يلهث لهاثاً شديداً ، وكان مذاق غريب يملأ فمه . إنه مذاق نحاسيّ وحلو . ولقد خافه الشيخ باديء الامر ، ولكنه لم يكن قوياً ذا خطر .

وبصق الشيخ في المحيط وقال :

« كلوا هذا ، ايها الاقراش ، واحلموا انكم قتلتم

رجلًا ! »

لقد أدرك الآن انه هُزم هزيمة نهائية لن تقوم له بعدها قائمة . فانقلب الى مؤخر القارب فوجد ان طرف المقبض المثلوم يلج في تجويف السكان على نحو يمكنه من قيادة الزورق . ثم إنه طوّق كتفيه بالكيس ، واتخذ سبيله نحو اليابسة . لقد غدا القارب خفيفاً رشيق الحركة ، ولم تراود الشيخ أيما فكرة ، أو يخالجه أيما شعور . لقد تخطى الان كل شيء ، فهو لا يفكر إلا في شيء واحد : ان يبلغ الشاطيء على خير وجه يستطيعه وأذكاه . وفي موهن من الليل كانت الاقراش تنقضّ على هيكل السمكة العظمي كما يتهافت الفقراء على بقايا المائدة . ولم يبالِ الشيخ بهم . إنه لم يبال بشيء غير إدارة السكان . بيد انه لاحظ رشاقة القارب وسرعته بعد ان تخفف من معظم الحمل الذي كان يُثقل خطاه .

وقال في ذات نفسه : إنها ما تزال سليمة . ولم يُصب ايّ شيء فيها بسوء ، باستثناء مقبض السكان . ومن اليسير عليّ ان استبدل به غيره .

وأحسّ أنه انتهى ، الآن ، الى مجرى التيار ، وصار في ميسوره ان يرى إلى اضواء الشواطيء المتناثرة على طول الساحل . لقد عرف اين هو الآن ، ولم يعد الوصول الى البيت أمراً عسيراً .

وخاطب نفسه : الريح صديقتنا على أية حال . ثم

أردف : أعني في بعض الاحيان . وكذلك البحر الكبير بما فيه من اصدقاء لنا وأعداء . وفكر : والسرير أيضاً . السرير صديقي . لا شيء غير السرير . لا ريب في أن الاستلقاء عليه شيء عظيم . وقال في ذات نفسه : لشدّ ما تبدو الأشياء سهلة حين يُهزم المرء . أنا ما كنت أحسب ، في يوم من الايام ، أنها سهلة الى هـذا الحدّ . ولكن ما الذي انتهى بك الى الهزيمة ؟

وأجاب في صوت عالٍ :

« لا شيء . كل مـا في الأمر اني أمعنت في الابتعاد عن الشاطىء . »

حتى اذا دخل المرفأ الصغير كانت أضواء « السطيحة » مطفأة ، فأدرك أن القوم قد آووا الى مضاجعهم . وكانت الريح قــد هبّت رُخاء ، باديء الامر ، ثم أخذت في الاشتداد فهي الآن قوية عاصفـة . ومع ذلك فقد كان السكون يخيم على المرفأ ، فتقدّم بقاربه حتى مجتمع الالواح الخشبية تحت الصخور . ولم يكن ثمة من يساعده فدفع القارب الى أبعد ما استطاع ان يدفعه . ثم غادره وشدّه الى احدى الصخور . ونزع السارية ، وطوى الشراع وأوثقه بها . ثم إنه تنكّب * السارية ، وشرع يصعّــد في الشاطيء . وفي تلك اللحظة فقط ادرك مبلغ الاعياء الذي استبــد به . ووقف لحظة ، والتفت الى الوراء فرأى ذنب السمكـــة

* تنكب الكنانة او القوس : ألقاها على منكبه .

الكبير – على ضوء مصباح الشارع – وقد ارتفع الى ما فوق مقدم الزورق بكثير . وبَصُر بعمودهـا الفقري وكأنه خيط ابيض عارٍ ، وبكتلة الرأس الداكنـة ، وبالرمح الناتيء ، وبذلك العري المـترامي ما بين رأس السمكة وذنبها .

وواصل تصعيده . حتى اذا بلغ القمة سقط وظـلّ منطرحاً على الارض ، برهة من الزمن ، والساريةُ معترضة كتفه . وحاول ان ينهض ، ولكنه اخفق ، فلبث هناك والسارية على كتفه ، وانشـأ ينظر الى الطريق . وفي الجانب الآخر مرت هرة تسعى في مناكبها . وراقبها الرجل العجوز ، ثم اجتزأ بمراقبة الطريق .

واخيراً انزل السارية عن منكبه ونهض . ثم رفـع السارية وتنكبّها واستأنف السير . ولقد اضطر الى ان يقعد خمس مرات على الارض قبل ان يبلغ كوخه .

حتى اذا انتهى اليه أسند السارية الى الجدار . وفي غمرة الظلام التمس زجاجة ماء ، وشرب جرعـةً . ثم استلقى على السرير رافعاً البطانية حتى كتفيه ، وسوّاها حول قدميه وظهره . ونام على وجهه فوق الصحف القديمـة ، ويداه منشورتان الى أعلى ، وراحتاه تواجهان السقف .

وكان نائماً حين أطلّ الغلام ، صباح اليوم التالي ، من شق الباب . كانت الريح عاصفةً الى حد جعـل من المتعذر على المراكب ان تغادر الشاطيء . وهكذا استرسل

الغلام في نومه ، ذلك اليوم ، ثم اقبل على كوخ الرجل العجوز ، فعله كلّ صباح . وفي الحال انحنى الغلام فوق الشيخ لكي يستيقن أنه ما يزال يتنفس . ثم انه رأى يدي الرجل العجوز ، وأنشأ ينشج . وسارع الى مغادرة الكوخ ، في هدوء كثير ، ليحمل اليه شيئاً من القهوة . وطوال الطريق كانت الدموع تتحدر على خديه .

وكان كثير من الصيادين قد احتشدوا حول القارب وراحوا ينظرون الى ما كان مشدوداً الى جانبه . وكان واحد منهم قد خوّض في الماء ، رادّاً بنطلونه الى أعلى ، وأخذ يقيس طول السمكة بحبل .

ولم يمضِ الغلام حتى ذلك المكان . لقد قصد الى هناك من قبل ، وكان قد عهد الى احد الصيادين في حراسة القارب .

وصاح احد الصيادين :

« كيف حاله ؟ »

فأجابه الغلام صائحاً :

« إنه نائم . » ولم يبالِ الغلام أنْ يلاحظ الصيادون دموعه . « ارجو ان لا يزعجه احدٌ . »

وصاح الصياد الذي كان يقيس طول السمكة :

« كان طولها ثمانية عشرَ قدماً من الأنف حتى الذنب . »

فقال الغلام :

« انا لا استغرب ذلك . »

ومضى الى « السطيحة » وطلب ملء صفيحة من القهوة .

— « لتكن ساخنةً وافرة الحليب والسكر . »

— « هل تريد شيئاً آخر ؟ »

— « لا . سوف أرى بعد ذلك ما الذي يستطيع ان يأكله . »

وقال صاحب « السطيحة » :

« لقد كانت سمكة عظيمة حقاً ! إن احداً لم يرَ مثلها من قبل . وأنت أيضاً ، اصطدتَ أمسِ سمكتين رائعتين . »

فقال الغلام :

« لست أبالي بذلك ! » وأنشأ ينتحب من جديد .

وسأله صاحب المقهى :

« ألا تريد أن تشرب شيئاً ؟ »

فقال الغلام :

« لا . قل لهم أن لا يزعجوا سانتياغو . سوف ارجع بعد قليل . »

— « إحمل اليه شديد تأثري لما أصابه . »

فقال الغلام :

« شكراً . »

ومضى الغلام بصفيحة القهوة الساخنة الى كوخ الشيخ وقعد الى جانبه حتى أفاق . وبدا الشيخ مرةً وكأنه استيقظ ، ولكنه ما لبث أن غرق في نوم عميق . وهنا

اجتاز الغلام الطريق لكي يستعير بعض الخشب يسخّن به القهوة .

واخيراً أفاق الرجل العجوز . فقال الغلام :

« إبقَ حيث انت . إشرب هذا . » وصبّ شيئاً من القهوة في قدح .

وتناول الشيخ القدح وشرب ما فيه .

وقال :

« لقد هزموني يا مانولين . لقد هزموني حقاً . »

— « ليست هي التي هزمتك ، على كل حال . ليست السمكة . »

— « لا . هذا صحيح . لقد هُزِمت في ما بعد . »

— « بيدريكو يحرس القارب والعدّة . ما الذي تريد ان تفعله بالرأس ؟ »

— « دع بيدريكو يقطّعه إرباً إرباً ويستعمله في أشراك الصيد . »

— « والرمح ؟ »

— « إحتفظْ به اذا شئت . »

— « يسعدني ذلك . والان ، ينبغي أن نتفاهم على سائر الاشياء . »

— « هل بحثوا عني ؟ »

— « طبعاً . بواسطة حرس السواحل وبالطيارات . »

فقال الشيخ :

« المحيط كبير جداً ، والقارب صغـــير لا يُرى في سهولة . »

ولاحظ المتعة البالغة التي تتم للمرء حين يجد امامه شخصاً يحدّثه ، بدلاً من ان يخـاطب نفسه أو يخاطب البحر ليس غير . واضاف : « لقد افتقدتـك في هـذه المعركة . ما الذي اصطدته ؟ »

— « واحدةً في اليوم الاول . وواحـدةً في اليوم الثاني . واثنتين في اليوم الثالث . »

— « حسن جداً . »

— « سوف نعاود الصيد معاً ، منذ اليوم . »

— « انا لستُ محظوظاً . أنا لم أعد محظوظاً عـلى الاطلاق . »

— « قاتل الله الحظ ! سوف أجلب الحظ معي . »

— « وما الذي ستقوله أسرتك ؟ »

— « انا لا ابالي . لقد اصطدت امس سمكتين ولكنا سوف نصطاد معاً بعد اليوم ، فلا تزال ثمة أشياء كثيرة ينبغي ان اتعلمها . »

— « يجب ان نصنع رمحاً ثاقباً ونصطحبه دائمـــاً في الزورق . في استطاعتك ان تصنع النصل مـــن طرف نابضٍ (راسّور) من نوابض « فورد » عتيقـــة . وفي ميسورنا ان نشحـذه في غواناباكوا . وينبغي ان يكون حاداً وغير ممزوج بعناصر غريبة لكي لا ينكسر . لقد

انكسرت مديتي . »

– « سوف آتي بمدية اخرى ، وأشحذ نابض السيارة . كم يوماً ستستمر هذه الرياح العاصفة في ما تظن ؟ »

– « ربما ثلاثة ايام . وربما اكثر . »

فقال الغلام :

« إذن فسوف اجد مجالاً واسعاً لأعداد كل شيء . بينما تنصرف انت الى العناية بيديك . »

– « اوه ، انا اعرف جيداً كيف اعالجها . في الليلة البارحة نفثتُ شيئاً غريباً ، وشعرت بشيء يطقّ في صدري . »

فقال الغلام :

« لا تنسَ ان تعتني بهذا ايضاً . إستلقِ في فراشك ، ايها الرجل العجوز ، ولسوف احمل اليك قميصك النظيف . وشيئاً تأكله . »

وقال الشيخ :

« إحمل اليّ اياً من الصحف التي صدرت خلال غيبتي في البحر . »

- « يجب ان تستعيد نشاطك في سرعة لأن هناك اشياء كثيرة يجب ان اتعلمها ، وفي استطاعتك ان تعلمني كل شيء . لقد تعذبتَ كثيراً ، اليس كذلك ؟ »

فقال الشيخ :

« أجل . كثيراً . »

فقال الغلام :

« سوف آتيك بالطعام والصحف . إسترح جيداً ايها الرجل العجوز . سوف أقصد الى الصيدلية وأشتري لك مرهماً تداوي به يديك . »

- « لا تنسَ ان تخبر بيدريكو ان رأس السمكة لـــه . »

- « لا . لن أنسى . »

وحين غادر الغلام الكوخ وهبط الطريق الرديئة المعبدة بالصخور المرجانية كانت العبرات تتحدّر على خديه كرة اخرى .

وذلك الأصيل وفدت على « السطيحة » طائفة من السياح . وفيما كانت احدى السيدات تتأمل الشاطىء الحافل بصفائح الجعة الفارغة والأسماك الميتة ، رأت عموداً فقرياً ضخماً طويلاً أبيض ينتهي بذنب هائل يرتفع ويتمايل مع المدّ ، بينا كانت الريح الشرقية تثير البحر عند مدخل المرفـــأ .

والتفتت السيدة الى احد النُدُل وسألتـه مشيرةً الى عمود السمكة الفقري العظيم الذي انتهى الى أن يصبـــح الان مجرد نفاية تنتظر ان يحملها المدّ الى عرض البحر :

« ما هذا ؟ »

فقال النادل ، وهو يحاول ان يشرح بلغته الكوبانيـة ما حدث :

« تيبورون Tiburon . قرش . »

وحسبتْهُ يعني ان العمود الفقريّ الطويل كان لأحد الاقراش فقالت :

« ما كنت اعرف ان للأقراش مثل هذه الاذناب الجميلة الرائعة الشكل ! »

وقال زميلها الذي يرافقها :

« وانا كذلك ما كنت اعرف ! »

وهناك ، في الكوخ ، القائم في أعلى الطريق ، كان الشيخ قد استسلم للرقاد ، كرةً اخرى ، مُكباً بوجهه على الصحف القديمة ، شأنه في المرة الاولى ، وقد قعد الغلام قربه وانشأ يرنو اليه . كان الشيخ يحلم بالأسُود .

انتهى

كنوز القصص الإنساني العالمي

سلسلة جديدة تعرف القارئ العربي إلى شوامخ الآثار القصصية العالمية ذات النزعة الإنسانية

اختارها ونقلها إلى العربية

منير البعلبكي

صدر منها :

			ق. ل.
١	— كوخ العم توم (الطبعة الثانية)	لهرييت ستاو	٢٠٠
٢	— اسرة آرتامونوف (الاول)	لمكسيم غوركي	٣٠٠
٣	— » » (الثاني)	» »	٢٥٠
٤	— المواطن توم بين . (الاول)	لهاوارد فاست	١٥٠
٥	— » » » (الثاني)	» »	٢٠٠
٦	— ستة وعشرون رجلاً وفتاة واحدة	لمكسيم غوركي	١٠٠
٧	— حكايات من ايطالية	» »	١٠٠
٨	— شارع السردين المعلّب	لجون شتاينبيك	١٧٥
٩	— حياتي (قصة رجل من الريف)	لانطوان تشيخوف	١٢٥
١٠	— طريق التبغ	لارسكين كالدويل	٢٠٠
١١	— افول القمر	لجون شتاينبيك	١٥٠
١٢	— ارض المآسي	لارسكين كالدويل	٢٠٠
١٣	— أبناء العم توم	لريتشارد رايت	١٥٠
١٤	— الشيخ والبحر	لارنست همنغواي	١٢٥

عَلِّمْ نَفْسَكَ

سِلْسِلَة كُتُبٍ مُبَسَّطَة لِنَشْرِ الثَّقَافَةِ العَامَّة
اخْتَارَ مَوْضُوعَاتِهَا وَنَقَلَهَا إِلَى العَرَبِيَّة

منير البعلبكي

صدر منها		ق . ل
١ . كيف تكسب السعادة	لبرتراند راسل	١٥٠
٢ . قادة الفكر الحديث (الطبعة الثانية) (كارل ماركس – برنارد شو – ويلز)	للاستاذ كوتس	١٥٠
٣ . علم النفس الحديث	للاستاذ سارجنت	١٥٠
٤ . كيف تفكر	للدكتور جبسون	١٥٠
٥ . ألفباء المرض والشفاء	للدكتور كوبلاند	١٥٠
٦ . الحضارة الاوروبية في القرون الوسطى وعصر النهضة	للاستاذ شيفيل	١٥٠
٧ . أعمدة الاستعمار الاميركي (الطبعة الثانية)	للاستاذ فيكتور بيرلو	١٥٠
٨ . مصرع الديمقراطية في العالم الجديد	للاستاذ البرت كان	١٥٠
٩ . فلسفة من الصين	للفيلسوف لين يوتانغ	١٥٠
١٠ . قصص انسانية عالمية	تشيخوف، تولستوي الخ	١٥٠
١١ . إدفع دولاراً تقتل عربياً (الطبعة الثانية)	للاستاذ غريزوولد	١٥٠

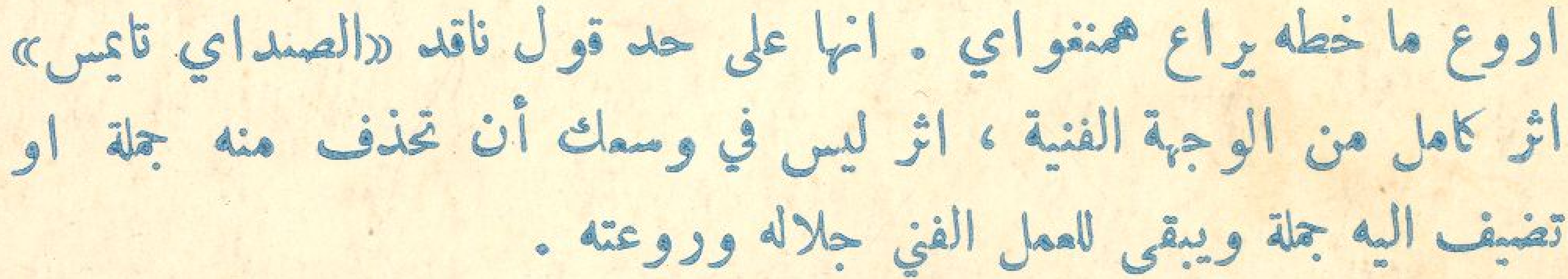
كنوز القصص الإنساني العالمي

لا تكون المكتبة كاملة وعصرية إذا لم تحتو على « سلسلة كنوز القصص الانساني العالمي » ، التي صدر منها حتى الآن أربعة عشر كتاباً كل منها قمة شامخة من قمم الادب العالمي الرفيع ، وأثر خالد ترجم الى جميع اللغات الحية وقرأه الملايين وزينوا به مكتباتهم .

راجع اسماء هذه الكتب على الصفحة ١٤٢

عن المؤلف والكتاب

- ليس بين قراء العربية من لم يسمع باسم همنغواي ورائعته «الشيخ والبحر» التي توجتها الاكاديمية السويدية منذ اسابيع بجائزة نوبل لعام ١٩٥٤
- انه كبير كتاب اميركا المعاصرين . وأحد عمالقة الفن الروائي في العالم كله . واشهر رواياته «ولا تزال الشمس تشرق» و«لمن تقرع الاجراس ؟ الخ» ...
- اما «الشيخ والبحر» فهي بأجماع النقاد اروع ما خطه يراع همنغواي . انها على حد قول ناقد «الصنداي تايمس» اثر كامل من الوجهة الفنية ، اثر ليس في وسعك أن تحذف منه جملة او تضيف اليه جملة ويبقى للعمل الفني جلاله وروعته .



- تقرأ قصة «الشيخ والبحر» فيخيل اليك انك تسمع لحناً من الحان بيتهوفن الخالدة . انها قصة صياد من كوبا ، صياد فقير ، يلتمس الرزق في عرض البحر ولكن الحظ يخونه طوال خمسة وثمانين يوماً ، حتى اذا وقع على سمكة ضخمة كأنها الجبل راح يداورها ويحاورها في بطولة نادرة وانسانية بالغة مصارعاً البحر والوحدة ، والجوع والظمأ ، والتعب والأنواء .
- إنها ملحمة النضال الانساني ضد عوامل الطبيعة القاسية ، وسيمفونية انتصار القلب الكبير على اليأس والقنوط .
- وبترجمة «الشيخ والبحر» - هذا الاثر الذي يفيض كما قال ناقد «النوفيل ليترير» بساطة وشاعرية والذي هو مجموعة من النضج والصفاء - يطعّم الادب العربي بلون رفيع من الوان الادب العالمي الحديث ، ويتسنى للمثقفين العرب أن يقرأوا ، لاول مرة ، نموذجاً كاملاً من ادب ارنست همنغواي .



الثمن ... ق. ل. او ما يعادلها
مطابع الآداب - بيروت